ميخائيل بولغاكوف

الأيام الأخيرة

«بوشكين»

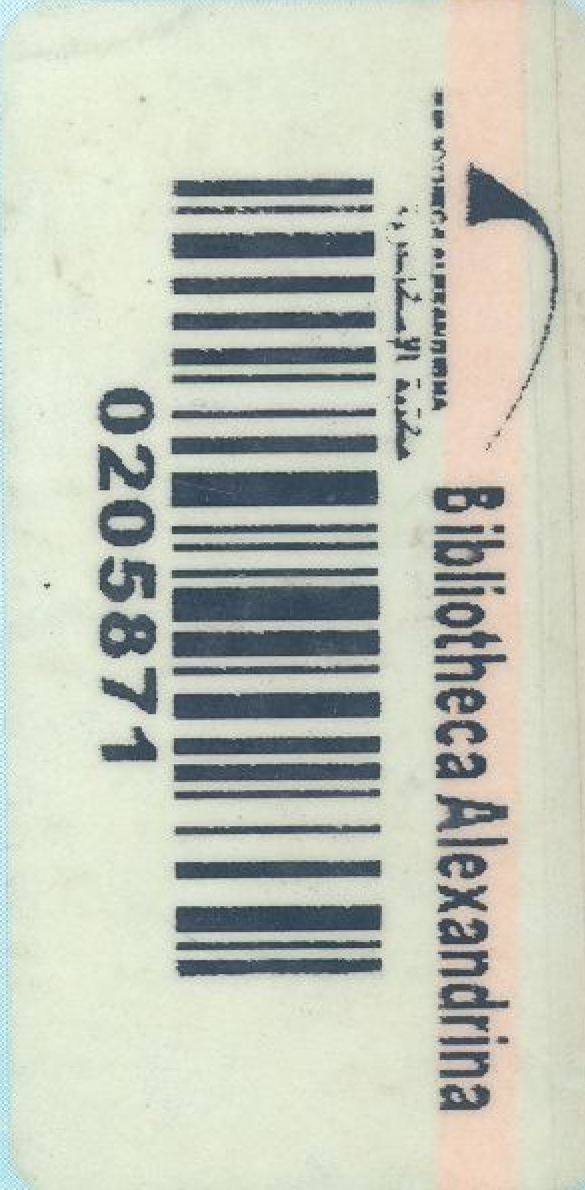
مسرحيّة في أربعة فصول

ترجمة :

يوسف حلاق

مسرحيات عالمية

« ٤٩ »



الإشراف الفني زهير الحمو

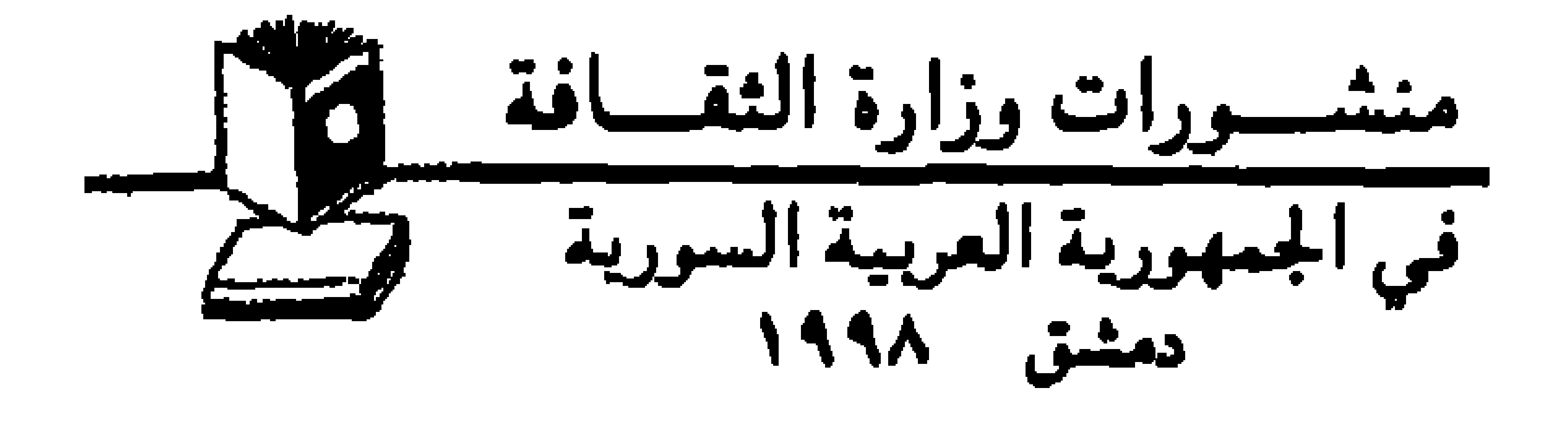
مِيخَائِيل بُولغَاكوفْ

ألأيّام ألأخِيرة

« بوشكين »

مَسرحيَّة فِي أَربَعَة فصُولْ

تـرجَـمَـة :
يُوسُفْ حلَّاق



منشـــورات وزارة الثقـــافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٨

العنـوان الأصلي للكتاب :

Михаил Булгаков

ПОСЛЕДНИЕ ДНИ (ПУШКИН)

ПЬЕСА
В ЧЕТЫРЕХ ДЕЙСТВИЯХ

الأيام الأخيرة (بوشكين) : مسرحية في أربعة فصول / ميخائيل بولغاكوف ؛ ترجمة يوسف حلاق . ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٨ . ـ ١٢٠ ص ؛ ٢٠ سم . ـ (روايات عالمية ؛ ٤٩) .

١ ـ ٨٩١،٧٢ ب و ل أ ٢ ـ العنوان ٣ ـ بولغاكوف
٤ ـ حلاق ٥ ـ السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ٢٠٩ /٢/ ١٩٩٨

مسرحيات عالمية

« ٤٩ »

مســـــرحيــة

ميخائيل بولغاكوف

الأيــام الأخـــيرة

(بوشــــكين)

العبقري والمجتمع موضــوع طالما شغل بــال الكاتب الروسي « السوفييتي » الكبير ميخائيل بولغاكوف ، بل قل هاجس ألح عليه طول حياته ، وعاد الى معالجته أكثر من مرّة في إبداعاته : في روايتيه **حياة السيد دي موليير والمعلم ومرغريتا** وفي مسرحيتيه **استعباد المنافقين والأيام الأخيرة** .

لعلّه من المفيد قبل التعرض الى المســـرحية نفسها بشيء من التفصيل الوقوف قليلاً على صفحات من حيـــاة بطل المسرحية ، شاعر روسيا الأكبر ورائد أدبها الحديث كله ألكسندر سيرغيفتش بوشكين . ذلك أن التعرّف على

المحطات الهامة في حياة بوشكين يكشف أبعاد الحدث المسرحي وعمقه المأساوي الاجتماعي والشخصي . لا سيما ان القارىء العربي الواسع الذي عرف بوشكين روائياً من خلال روايته **ابنة الضابط** يكاد لا يعرف شيئاً عن حياته الفنية الحافلة .

ـ ولد بوشكين في ١٧٩٩/٦/٦ في موسكو وتوفي في ١٨٢٧/٢/١٠ في بطرسبرج إثر مبارزة مفتعلة دبّرها القيصر وأعوانه للتخلّص من الشاعر . وكان مبارزه الضابط جورج دنتيس وهو فرنسي هاجر الى روسيا بعد ثورة عام ١٨٣٠ في فرنسا وتبنّاه غيكيرن سفير هولندا في موسكو آنذاك . والد بوشكين سيرغي سليل أسرة عريقة من النبلاء أما أمه ناديجدا أوسيبوفنا غانيبال فهي حفيدة أ. ي. غانيبال وهو حبشي جلبه بطرس الأكبر معه من اثيوبيا وخدم في قصره . ومن هنا التلميحات المتعددة في المسرحية الى هذا النسب واحيانا في معرض الغمز منه (« ذو الدم الجنوبي » ، « الأفريقي المتعطش الى الدم » ، أو وصف أحدهم زوجته بأنها « زوجة العربي ») .

ـ درس في ليسيه مدينة تسارسكوبي سيلو حيث نشأ على حب الحرية وعقد هناك صداقات مع الشبّان الضباط المعسكرين في هذه المدينة والذين سيكون من بينهم ضباط شاركوا في حركة الديسمبريين

أمثال رايفسكي وكافيرين وتشادايف . وحركة الديسمبريين هذه حركة ثورية سياسية تشبعت بروح الثورة الفرنسية ومثلها كانت تهدف الى القضاء على الحكم المطلق والإقطاع . وقد قام رجال هذه الحركة بمحاولة انقلاب فاشلة في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٢٥ (ومن هنا تسميتهم بالديسمبريين) فأعدم بعض المشاركين فيها ونفي بعضهم الآخر . ومن الثابت تاريخياً حتى الآن أن بوشكين لم يشارك مباشرة في هذه الحركة وإن كان عاش أجواءها وتعاطف معها وظلّ على محبته ووفائه لرجالها ممّا جعله موضع ريبة القيصر ونقمته .

— في عام ١٨١٧ ينتقل بوشكين الى بطرسبرج ويعين في وزارة الخارجية ويشارك بنشاط في الجمعيات الأدبية والاجتماعية وفي حركة التجديد الشعري والأدبي ويتغنّى بالحرية مما أثار عليه غضب الكسندر الأول . لكن القيصر اكتفى بعد شفاعة الشاعرين جوكوفسكي وكارامزين بنفي بوشكين إلى الجنوب عام ١٨٢٠ ، وفي عام ١٨٢٣ ينتقل إلى أوديسيا ثم يسرح من الخدمة في عام ١٨٢٤ وينفى إلى مقاطعة بسكوف وبالذات إلى قرية ميخايلو فسكايي حيث كانت لعائلته هناك أراض وأطيان .

بعد سحق ثورة الديسمبريين عام ١٨٢٥ يعيده القيصر نيقولا الأول من المنفى بعد أن تأكد من عدم مشاركة بوشكين

في الحركة ووعده بأن يتولى هو القيصر أمـر الرقابة على مؤلفاتـه وذلـك عمـلاً بنصيحة رئيس جهـازه السـري بينكيندورف : « إذا نجحنا في توجيه يراعه وأقواله الوجهة الصحيحة سيكون لنا في ذلك نفع كبير » . وقد أقدم بوشكين على نوع من التواطؤ لاعتقاده بإمكان قيام نيقـولاي الأول بإصلاحات وأملاً في الاحتفاظ بقدر أكبر من حرية التعبير . لكن الامور لم تسر على المنوال الذي تصوره . ففي عـام ١٨٢٦ يمنع القيصر طبع مسرحية بوشكين **بوريس غودونوف** ويطلب إليه إعادة كتابتها وفي عامي ٢٧ و ٢٨ يلاحق سياسياً بسبب بعض القصائد المفعمة بروح الحرية التي كان الناس يتداولونها سراً وينتهي الأمر بوضعه تحت المراقبة .

ـ في عام ١٨٣١ يتزوج من ناتانيا نيقولايفنا غونتشاروفا ويطلب الالتحاق بالجيش العامل في الجنوب لكـن طلبـه يقابل بالرفض .

وفي عام ١٨٣٣ يمنحه القيصر رتبة كامر يونكر مـع اللباس العسكري الرسمي ويلحقه بالبلاط الامبراطوري في محاولة أخرى من الامبراطور لتدجينه . وكان الشاعر بحكم وظيفته هذه مضطراً إلى حضور الحفلات التي يقيمها رجال الحاشية ، لكن مالبث أن تقدم بعدة طلبات استقالة فلـم

تلب طلباته . وفي هذه الأثناء ساءت حاله المادية فطلب قرضاً من الحكومة بمبلغ ثلاثين ألف روبل ، وشدد حساده ومبغضوه تضييق الخناق عليه كما فقد القيصر وأعوانه الأمل نهائياً في إصلاحه ورده إلى « جادة الصواب » وانتهى الأمر بتدبير مؤامرة المبارزة التي أودت بحياته .

كتب بولغاكوف مسرحيته بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ وتناول فيها الأيام المأساوية الاخيرة في حياة الشاعر بوشكين عاكساً فيها مصير عبقري جسد في إبداعه التطلعات الانسانية الخيرة لشعب بكامله .

والجديد في المسرحية ان بوشكين الذي هو محور المسرحية لا يظهر على خشبة المسرح إطلاقاً . فبولغاكوف لا يرينا إلا طيفه يعبر غرفة الطعام الى مكتبه ، ثم في آخر المسرحية مجموعة أشخاص « تنقل » شخصا ما هو بوشكين الجريح . لكن بوشكين ، على الرغم من هذا ، هو الحاضر الدائم على الخشبة ، وهو الذي يشد كل خيوط العمل المسرحي .

إن كل شيء في المسرحية صادق تاريخيا ، يكاد يكون محسوساً وملموساً ، ولوحات بولغاكوف الواقعية تنقل القارىء الى عصر بوشكين وتصور تصويرا أمينا أحوال ذلك العصر . لكن المسرحية أبعد من أن تكون مسرحية

تاريخيـــة . إنه لا يؤرخ ، بل يرسم صـــورة فنيـــة لعبقري وموقعه من عصره . ولعل هذه الصورة بأبعادها وايحاءاتها وإسقاطاتها أفضل من أي تأريخ .

ان الصدق في تصوير الظروف الاجتماعية الموضوعية التي أحاطت بالشاعر لا يعدله الا الصدق السيكولوجي في تصوير شخوص المسرحية وهما هنا يندمجان في كلّ واحد . فالمسرحي الكبير يصور بصـــدق ضائقـــة الشاعر الماديـــة (الديون المتراكمة عليه) ويبين لنا استفحال مأساته العائلية (زوجته ناتاليا نيقولايفنا تضرب موعداً لدنتيس) . وبالمقابل نرى تمرّغ رجال القصر في الترف والبذخ والكذب والغـــدر والحســـد من أمثـــال كوكولنيك وسلتيكوف ودلفاروكوف والشاعر التافـــه بينيدكتـــوف . وتتكاثف النذر ويتصاعد التوتر الدرامي حين يكشف بولفاكوف أن المؤامرة التي تحاك ضـــد بوشكين ليست من دسائس السفير الهولندي غيكيرن وابنه بالتبني أو كاتب الاهجيات الأمير الأعرج دولغاروكوف بل من عمل آلـــة الدولة الاستبداديـــة وعلى رأسها نيقولاي الأول وأعوانه . ولا تستطيع قصور النبلاء والأروقة البيض والصالونات الفاخرة والقيصر المتعجرف الماكر الذي يغازل ناتاليا نيقولايفنا وكأنه فتى مراهق أن تخفي ما وراءها ، فإن هي إلا حفلة تنكرية . أما ما وراء هذا الوقار والأدب فهو النذالـــة المرائية والقسوة واللهـــاث وراء المنصب والمركز ،

والاستبداد القيصري الـذي كان بوشكين يكن لـه كل الكره والذي وصمه وصمة أبدية بالعار في شعره .

ان خصوصية تطور الفعل الدرامي تكمن في ان المشاهد يشعر طول الوقت أن قوة التاريخ والحق والحكمة الى جانب الشـاعر العبقري . ولئن استطاعت قوى الظلام أن تغيب جسد الشاعر ، إلا أن شعره خالد في ذاكرة الشعب .

ومن مآثر بولغاكوف في مسرحيته كشفه لرأي الشعب فيما جرى . فالشعب هنا يرى الى مأساة بوشكين على أنها مأساته . وبولغاكوف في بنائه المشاهد الجماهيرية في نهاية الرواية يعتمد بشكل واضح على تقاليد بوشكين ذاته لا سيما في مسرحيته **بوريس غودونوف** حيث كان رأي الشعب القوّة التي حددت مصير المغتصبين . لكنه يستفيد في الوقت نفسه من تجربة المسرح السوفييتي في بناء المشاهد الجماهيرية التي تعكس تفاقم التناقضات الاجتماعية. إلا أن بولغاكوف يدخل المشاهد بطريقة جديدة فهو يمحورها حول شخص واحد هو بوشكين بوصفه المعبر عن المثل العليا النيرة للعصر . فهدير الناس الذين احتشدوا حـول شقة بوشكين في مويكا وهي أحد احياء بطرسبرج بعد سماعهم نبأ المبارزة وبأن بوشكين يحتضر ، وازدياد هياجهم بعـد وصول دوبيلت وسـماع أصوات الزجاج المكسر ، وصوت امـرأة في الجمع تصرخ « قتلوه ! » ، والطالب الـذي يصرخ : « ما هـذا ؟ لمـاذا

لا يســتطيع الروس أن يحنـوا رؤوســهم أمـام رفـات شاعرهم ؟ » ، والطالب الآخر الذي يلقي أبياتاً من قصيدة الشاعر الروسي الكبير ليرمنتوف « موت الشاعر » :

لم تطق نفس الشاعر

عار الاهانات الصغيرة ...

ثار ضد آراء المجتمع الراقي

ووحده ، كما في السابق قتل .

قتل . ما نفع النحيب والمديح

والدموع والتمتمات البائسة ... » .

وكلمة الضابط الذي يرتدي اللباس العسكري (وهو دون شك واحد من أتبـاع الديسمبريين) : « لقـد صرع مواطن عظيم . وما كان هذا ليتم إلا لأن في البلد سلطة غير محدودة بين أيدي أشخاص غير جديرين يعاملون الشعب كالعبيد » ــ هذا كله يدل على أن الشعب بمختلف فئاته ، البسطاء منه والمتنورين ، أدرك بحدسه أبعاد المصيبة التي فجع بها . ولكي يزيد من إبراز الحزن الشعبي على موت بوشكين يرسم بولفاكوف مشهد دفن الشاعر سراً ، حين حمل رجال البوليس الذين أفزعتهم مظاهر الحب الشعبي لبوشكين جثمانـه سراً من بطرسبرج الى قرية ميخاييلو ــ

فسكايي لدفنه هناك عند جدران ديرسفيتاغورسك . ففي بيت فلاحي حقير وسط سهوب روسيا الغارقة في الظلام ، وعلى صوت العاصفة التي ظل صداها يتردد في أسماعنا منذ مطلع المسرحية لحناً حزيناً مأساوياً يلخص انسان بسيط أجبرته ظروفه على أن يعمل مخبراً عن بوشكين،لكننا نشعر مع هذا بتعاطفه معه ، عظمة الشاعر في تحريك القلوب والعقول ودفعها الى آفاق أكثر إشراقاً وانسانية حتى ولو كانت حياته هي الثمن . يقول بيتكوف : « بسبب اشعاره لم يعرف أحد الهدوء والطمانينة ... لا هو ولا السلطة ولا أنا عبده تعالى ... سندفنه ، هذا أكيد . لكن هل سيجيء هذا بفائدة ؟... » .

يوسف حلاق

« لعل القدر يصون أبياتي التي أنظمها فلا تغرق في بحر النسيان ... »

من رواية بوشكين الشعرية « يفغيني أونيغين » .

الشخوص

بوشكينا ناتاليا نيقولايفنا ، تاشا

غونتشاروفا الكسندرا نيقولايفنا ، آزيا

فورونتسوفا الكسندرا كيريلوفنا

سلتيكوفا الكسندرا سيرغييفنا

زوجة ناظر المحطة

وصيفة

بيتكوف

نيكيتا

دنتيس

شيشكين

بينيدكتوف فلاديمير غريغوريفتش

كوكولنيك نستور فاسيليفتش

دولغاروكوف بيوتر فلاديميروفتش ، بيتيا ، بييتنكا

بوغومازوف ايفان فرفولومييفتش

سلتيكوف سيرغي فاسيليفتش

نيقولاي الأول

جوكوفسكي فاسيلي اندرييفتش

غيكيرن

دوبيلت ليونتي فاسيليفتش

بينكندورف الكسندر خرستوفورفتش

راكييف

بونومَرْيوف

ستروغانوف

دنزاس كونستنتين كارلوفتش

دال

طالب

ضابط

ناظر المحطة

تورغنيف

فورونتسوف

فيلات

أغافون

ضابط أول في فوج بريئبراجنسكي[1]

---

(1) هو اقدم أنواع الحرس الروسي شكله بطرس الاكبر عام ١٦٨٧ .

ضابط ثان في فوج بريئبراجنسكي

زنجـي

شخص من الحاشية (برتبة كامِرْ يونكر)

فاسيلي مكسيموفتش

خـادم

شرطي ، رئيس قسم الحيّ

ضباط بوليس سياسي

عناصر بوليس سياسي

شـرطة

جمع من الطلاب

جمهـور .

تجري أحداث المسرحية في أواخر يناير (كانون ثاني) ومطلع فبراير (شباط) عام ۱۸۳۷ .

الفصل الأول

(الوقت مساءً . غرفة الاستقبال في شقة ألكسندر سيرغييفتش بوشكين في بطرسبرج . تضيء شمعتان فوق بيانو قديم ، وشمعتان في الركن قرب ساعة عالية قائمة عند الجدار . يرى عبر الباب المفتوح موقد وقسم من رفوف كتب في مكتب . الجمر يحترق في موقد المكتب وفي موقد غرفة الاستقبال .

ألكسندرا نيقولايفنا غونتشاروفا تجلس الى البيانو، والساعاتي بيتكوف يقف مع أدواته قرب الساعة . الساعة بين يديه تدقّ تارة وتصدر نغماً تارة أخرى . غونتشاروفا تعزف على البيانو ألحاناً خافتة وتدندن . يسمع صوت عاصفة وراء النافذة) .

غونتشاروفا : (تدندن) « . . . ما لك يا عجوزي الى النافذة تجلسين

صامتة ، وجهك كالح حزين . . .

العاصفة تغطي السماء بالقتامة ،
تلف رقع الثلج في دوّامة ...
كالوحش حيناً تعوي
وحيناً كالطفل تبكي ... »

بيتكوف : يا لها من اغنية رائعة ! اليوم كنت أصلح ساعة عند جسر براتشيشني ... كنت أسير على الجسر ... يا إلهي ! كانت تدوّم وتلفّك وتصفعك في عينيك واذنيك ! ..

(**توقف**) . هل تسمحين بمعرفة من ألف هذه الأغنية الرائعة ؟

غونتشاروفا : ألكسندر سيرغييفتش .

بيتكوف : أجاد ! تعوي في المدخنة ، وحقّ الله ،كطفل. شيء رائع !

يسمع جرس الباب . يدخل نيكيتا .

نيكيتا : ألكسندرا نيقولايفنا ، المقدم شيشكين يطلب مقابلة .

غونتشاروفا : أي شيشكين هذا ؟

نيكيتــا : شيشكين ، المقدّم .

غونتشاروفا : ولماذا في هذا الوقت المتأخر ؟ قل له إني لا أستطيع استقباله .

نيكيتــا : لكن كيف لا تستقبلينه يا ألكسندرا نيقولايفنا ؟

غونتشاروفا : آه يا إلهي ، تذكرت ! .. ادعه .

نيكيتــا : أمرك . (**يتجه الى الباب**) . آه يا للمصيبة يا لخراب البيوت ... (**يخرج**) .

(توقف)

شيشكين : (**داخلاً**) . أرجو المعذرة من صميم قلبي، لقد تعرّقت نظارتي . يشرفني أن أقدم لك نفسي: المقدم المتقاعد ألكسي بيتروف شيشكين، كوني كريمة وسامحيني لأني أقلقت راحتك . ما هذا الطقس، آ ؟ الانسان لا يطاوعه قلبه على طرد كلب الى الشارع في طقس كهذا . لكن ما العمل ؟ مع من لي شرف التحدث ؟

غونتشاروفا : أنا أخت ناتاليا نيقولايفنا .

شيشكين : آه ، سمعت عنك كثيراً ، وإني لسعيد جداً بالتعرف عليك يا مدموازيل .

غونتشاروفا : Veuillez-vous s'asseoir, monsieur (١) .

شيشكين : برلي روس مدموازيل(٢) . شكراً **(يجلس)** . يا له من طقس ، آ ؟

غونتشاروفا : عاصفة ثلجية ، كما ترى .

شيشكين : هل بوسعي أن أرى السيد الكامر يونكر ؟

غونتشاروفا : آسفة جداً ، ألكسندر سيرغييفتش ليس في البيت .

شيشكين : وقرينته ؟

غونتشاروفا : وناتاليا نيقولايفنا في زيارة .

شيشكين : يا لسوء حظي ، فأنا لا أستطيع أبداً أن أجده .

غونتشاروفا : لا تقلق ، أرجوك . بإمكاني أن أتحدث إليك في الموضوع .

---

١ ــ تفضل بالجلوس يا سيدي (بالفرنسية) .

٢ ــ تكلمي بالروسية يا آنسة .

شيشكين : كان بودّي لو أكلم السيد الكامر يونكر ، ومع هذا سمعاً وطاعة . المسألة بسيطة . لقد رهن السيد بوشكين لديّ في أوقات مختلفة شالات تركية ولؤلؤاً وفضة لقاء أوراق مالية بمبلغ اثني عشر ألفاً ونصف .

غونتشاروفا : أعرف ...

شيشكين : إثنا عشر ألفاً ونصف ، لا تنقص كوبيكاً .

غونتشاروفا : ألا يسعك أن تصبر قليلاً ؟

شيشكين : بودّي لو استطيع المزيد من الصبر يا سيدتي . فالمسيح صبر وأمرنا أن نصبر . لكن يجب أن تتفهمي وضعي أيضاً . فلا بد أن نقيت جسمنا . ثم عندي ، واسمحي لي أن أخبرك ، ابناء في الأسطول ، ولا بدّ لي من مدّ يد العون لهم . وقد أتيت أبلغك ، يا سيدتي ، أني سأبيع المرهونات غداً . فقد وجدت شخصاً مناسباً من بلاد فارس .

غونتشاروفا : ارجوك أحرّ الرجاء التريث قليلاً . ألكسندر سيرغييفتش سيسدد كل الفوائد .

شيشكين : صدقيني ، لا أستطيع . من نوفمبر (تشرين الثاني) ونحن ننتظر ، ولو أن أحداً غيرنا لباع منذ مدة طويلة . أخشى أن أفوّت عليّ فرصة الفارسي هذا .

غونتشاروفا : عندي عقد مع مشبك وحليّ فضية . لعلك تعاينها ؟

شيشكين : المعذرة ، أمر هذه الحليّ يطول ، أما الفارسي ...

غونتشاروفا : العفو ، لكن كيف نبقى بدون هذه الأشياء ! لعلك تلقي نظرة مع هذا ! تفضل الى غرفتي !

شيشكين : لا بأس ، تفضلي . **(يمضي إثر غونتشاروفا)**. الشقة رائعة . كم تدفعون ؟

غونتشاروفا : أربعة آلاف وثلاثمائة .

شيشكين : غالٍ قليلاً (**يمضي مع غونتشاروفا الى الغرف الداخلية**) .

(بيتكون ، وقد بقي وحده ، يتنصت، ثم يهرع وبيده شمعة الى البيانو يتفحص النوتات ثم يدخل المكتب بعد تردّد . يقرأ أسماء الكتب ، ثم يرسم علامة الصليب في ذعر ويختبئ في آخر

المكتب . ثم يعود بعد فترة الى مكانه قرب الساعة في غرفة الاستقبال. تدخل غونتشاروفا وفي إثرها شيشكين يحمل حزمة صغيرة) .

غونتشاروفا : سأبلغه .

شيشكين : الحوالة إذن سنقيدها . إلا اني أرجوك : بلغي الكسندر سيرغييفتش أن يتفضل إلي بنفسه ، فأجرة العربات صارت باهظة جداً . فصيلة إزمايلوف الرابعة في بيت بورشوف ، مؤخرة الفناء ، شبابيك صغيرة ... إنه يعرفها ... **(وهو عند الباب)** أورفوار مدموازيل .

غونتشاروفا : Au revoir, monsieur .

(يخرج شيشكين) .

بيتكوف : **(يغلق الساعة ،ويضع أدواته في الحقيبة)**. جاهزة ، يا آنسة ، صارت تعمل . أما بالنسبة للمكتب ... فسآتي غداً .

غونتشاروفا : حسناً .

بيتكوف : إذا سمحت **(يخرج)** .

(غونتشاروفا قرب الموقد . يظهر نيكيتا في الباب) .

نيكيتـــا : إي ، ألكسـندرا نيقولايفنا !

غونتشاروفا : ماذا تريد ؟

نيكيتا : إي ، الكسندر نيقولايفيا ! (**توقف**) . ها هي ثروتك أيضا بدأت تضيع .

غونتشاروفا : سنفك الرهن .

نيكيتا : من أين لنـا أن نفكه ؟ لن نفكـه يا ألكسندرا نيقولايفنا .

غونتشاروفا : مالك تنعق اليوم علي ؟

نيكيتا : لست غراباً كي انعـق . الى راؤول اربعمـائة تسبلكوفي(٣) ثمن نبيذ ، هذا شيء مخيف ! والى صانع العـربات والى الصيـدلي ... ويـوم الخميس يجـب أن ندفـع لكاراديغـين ثمـن المكتب... وفواتير القرض ! ولو كانت وحدها ! حتى بائعة الحليب، ويا لخجلتنا، استدنا منها ! كل ما نقبضه لا يبقى منه شيء ، يذهب لتسديد الديون . الكسندرا نيقولايفنا توسلي اليـه ،

---

٣ - روبل .

فلنذهب الى القرية . لن يكون هناك خير من بقائنا في بطرسبرج ، تذكري كلامي .
لو نأخذ الأطفال ، هناك الهدوء والرحابة ... وهنا ، هنا بيت لصوص ، يا الكسندرا نيقولايفنا والاطفال الثلاثة لاحظي أنهم اصفروا تماما ، والأرق ...

غونتشاروفا : قل لالكسندر سيرغييفتش بنفسك .

نيكيتا : قلت له مرارا . وكان جوابه دائما : « لقد ضقت بك ، حتى بدونك رأسي في دوامة » كيف لايضيق بي ونحن معا منذ ثلاثين عاما !

غونتشاروفا : قل لناتاليا نيقولايفنا اذن .

نيكيتا : لن أكلم ناتاليا نيقولايفنا ، لن تذهب . **(توقف)** وبدونها ؟ لو تذهبون أنت والأطفال وهو .

غونتشاروفا : هل جننت يا نيكيتا ؟

نيكيتا : في الصباح تتدربون على الرمي بالمسدس ... ثم تركبون الجياد ... وبالنسبة للاطفال المكان واسع ومريح ...

غونتشاروفا : كف عن تعذيبي يا نيكيتا ، انصرف .

(تجلس غونتشاروفا قليلاً قرب الموقد ثم تمضي

الى الغرف الداخلية . يسمع صوت جرس .
يدخل نيكيتا المكتب الغارق في نصف ظلمة انما
ليس عبر غرفة الاستقبال بل من غرفة الانتظار
وخلفه يلوح ثم يمضي الى عمق المكتب شخص .
يضاء نور في عمق المكتب) .

نيكيتا : (**بصوت مخنوق آت من عمق المكتب**) . أمـرك
أمرك ، حسنا ! (**يدخـل غـرفة الاستقبال**) .
ألكسـندرا نيقولايفنا ، لقد وصل مريضاً ، وهو
يطلبك .

غونتشاروفا (**داخلة**) أ ، آتية فوراً .
(يمضي نيكيتا الى غرفة الطعام) .
(**بعـد أن تطـرق باب المكتب**) On entre ?
(**تدخل ، يسمع صوتها بشكل مخنوق**)
Alexandre, êtes vous indiposé . (٤)
ابق راقداً ، ابق راقداً . لعلنا نرسل في طلب
طبيب ؟ (**تخرج الى غرفة الاستقبال ، تقـول
لنيكيتا الذي يدخل وفي يده فنجان) اخلـع**
ملابس السيد (**تنسحب الى قرب المـوقد ،
تنتظر**) .

---

(٤) يمكنني الدخول ؟ هل انت متوعك الصحة يا الكسندر ؟

يمكث نيكيتا بعض الوقت في المكتب ثم يخرج الى غرفة الانتظار بعد أن يغلق الباب وراءه .
(تدخل الى المكتب . كلماتها مسموعة بشكل مخنوق) . كل شيء على خير ... لا ، لا ...
(صوت جرس . يدخل نيكيتا غرفة الاستقبال. تهرع غونتشاروفا للقائه) .

نيكيتا : (وهو يناولها رسالة) . رسالة الى الكسند ...

غونتشاروفا : (تومىء الى نيكيتا محذرة وتأخذ الرسالة)
آ ، من الخياطة ؟ حسنا ، قل لها اني سأحضر اليها غدا نهارا . لماذا تقف هكذا ، هيا .
(بصوت خافت) . قيل لك الا تعطيه رسائل .

يخرج نيكيتا .

(تعود الى المكتب ، يسمع صوتها مخنوقا) .
لك الله يا الكسندر ، قلت لك إنها من الخياطة ! حقاً ، سأرسل في طلب الطبيب . هيا سأرسم على وجهك علامة الصليب ... ماذا ؟ حسنا أتوسل اليك الا تشغل بالك .
(يطفأ النور في المكتب تعود غونتشاروفا الى غرفة الاستقبال وتغلق الباب وراءها وتسحب ستارته)
(تقرأ الرسالة ، تخفيها) . من هؤلاء الاوغاد ؟
لقد عادوا اليها من جديد . يا اله الحق !

(**توقف**) . يجب أن نذهب الى القرية . انه على حق .

(يسمع طرق . صوت نيكيتا يصل مخنوقاً . تظهر ناتاليا نيقولايفنا بوشكينا . تفك شرائط قبعتها المعقودة تحت الذقن . تلقي القبعة على البيانو ، تزر عينيها كمن به قصر نظر) .

بوشكينا : لم تنامي بعد ؟ وحدك ؟ بوشكين في البيت ؟

غونتشاروفا : عاد وهو مريض جداً . استلقى وطلب الا يقلق أحد راحته .

بوشكينا : يا للمسكين ! وهذه العاصفة ؟ غير معقول هذا يا رب ! الثلج كان يلسعنا كالسوط .

غونتشاروفا : مع مَنْ عدت ؟

بوشكينا : دنتيس رافقني . لماذا تنظرين إلي هكذا ؟

غونتشاروفا : لا زلت مصرّة مع هذا على حلول مصيبة ؟

بوشكينا : آه ، أستحلفك بحق كل ما هو مقدّس ، بدون وعظ وإرشاد !

غونتشاروفا : ما هذا الذي تفعلينه يا تاشا ؟ لماذا تسعين الى تعاستك بقدميك ؟

بوشكينا : آه ، يا إلهي ! هذا مضحك يا آزيا ! ما وجه السوء في أن يرافقني Monbeau-frère (٥) .
تناول غونتشاروفا بوشكينا الرسالة .

(تقرأ ، تهمس) . رآها ؟

غونتشاروفا : الله ستر . كاد نيكيتا يسلمها له .

بوشكينا : آه منه هذا الأحمق العجوز ! **(تلقي الرسالة في الموقد)** . أناس لا يحتملون ! من الذي يفعل هذا ؟

غونتشاروفا : لن يفيدك هذا ، يمكن أن تحترق رسالة اليوم ، لكن قد تصل أخرى غداً . وسيعرف على أي حال .

بوشكينا : أنا لست مسؤولة عن رسائل غفل وهو سيدرك أن هذا كله غير صحيح .

---

(٥) زوج أختي (بالفرنسية) .

غونتشاروفا : لماذا تكلمينني هكذا ؟ لا أحد يسمعنا .

بوشكينا : حسنا ، حسنا . اعترف أني التقيت به مرة واحدة عند إيداليا . لكن هذا كان عن غير قصد . بل لم يخطر لي ببال انه سيأتي الى هناك .

غونتشاروفا : تاشا ، فلنذهب الى القرية .

بوشكينا : نهرب من بطرسبرج !؟ نختبىء في القرية ؟ لأن عصبة من السافلين ... لأن نكرة حقيرا ... سيظن عندئذ أني مذنبة . ليس بيننا شيء ... أغادر العاصمة ؟ هكذا فجأة ودونما سبب ؟ لا ، أشكرك . أنا لا أريد أبداً أن أجن في القرية .

غونتشاروفا : يجب ألاّ تقابلي دنتيس . أحقاً لا تريدين ان تفهمي كم يثقل هذا عليه ؟ ثم ان أموره المالية مضطربة بشكل ...

بوشكينا : ما الذي تأمرين ان أفعل ؟ طبعا الحياة في العاصمة تلزمها موارد كافية .

غونتشاروفا : إني لا أفهمك .

بوشكينا : لا تعذبي نفسك يا آزيا ، اذهبي الى سريرك .

غونتشاروفا : الوداع (**تخرج**) .

تبقى بوشكينا وحدها ، تبتسم ، على الأرجح إنها تتذكر شيئاً ما . في الباب المؤدي الى غرفة الطعام يظهر دنتيس دون أي صوت . إنه يعتمر خوذة ويرتدي معطفا عسكريا مغطى بطبقة رقيقة من الثلج ويمسك بيده قفازا نسائيا .

بوشكينا : (**همسا**) كيف جرؤت ؟ كيف وصلت الى هنا ؟ غادر بيتي فورا ! أي جسارة هذه ! إني آمرك !

دنتيس : (**يتكلم بلكنة شديدة**) . نسيت قفازك في العربة . خفتُ أن تتجمد يداك غدا من البرد فعدت (**يضع القفاز على البيانو ، ويرفع يده الى خوذته ويستدير كي يخرج**) .

بوشكينا : ألا تدرك مدى الخطر الذي عرّضتني له ؟ إنه وراء الباب . (**تهرع الى الباب وتصيخ السمع**) . فيم كنت تأمل وأنت تدخل ؟ وماذا لو كان في غرفة الاستقبال ؟ لقد نهى عن السماح لك بدوس عتبة بيته ! الذي تفعله إن هو إلا هلاك محقق !

دنتيس : Chaque instant de la vie est un pas vers la mort. (٦)

قال لي الخادم إنه نائم فدخلت .

بوشكينا : لن يحتمل هذا . سيقتلني .

دنتيس : من بين كل الأفريقيّين أحسب أنه أكثرهم تعطشا للدماء . لكن لا تقلقي ، سيقتلني أنا لا أنت .

بوشكينا : تظلم الدنيا في عيني حين أتصور ما سيحدث لي !

دنتيس : اطمئني . لن يحدث لك شيء . أنا الذي سيوضع على عربة مدفع ويحمل الى المقبرة . وستهب وقتها عاصفة كعاصفة اليوم ، لكن شيئا لن يتغير في هذا العالم .

بوشكينا : استحلفك بكل ما هو عزيز لديك ، غادر هذا البيت .

دنتيس : ليس عندي ما هو عزيز في هذه الدنيا سواك ، فلا تستحلفيني .

---

(٦) كل لحظة من حياتنا هي خطوة نحو الموت (بالفرنسية) .

بوشكينا : اذهب !

دنتيس : آه ، لا . أنت السبب فيما يحدث من اشياء جنونية . إنك لا تريدين أن تسمعيني أبدا ، مع أن هناك امرا في غاية الخطورة ، ويجب أن تسمعي . هناك ... أتسمعين ؟ بلدان أخرى . قولي لي كلمة واحدة فنهرب .

بوشكينا : وهذا تقوله أنت الذي اقترنت بأختي كاترينا منذ شهر فقط ؟ أنت مجرم ، أنت مجنون ! تصرفاتك لا تشرف يابارون !

دنتيس : لقد تزوجتها بسببك ، ولهدف واحد ـ أن أكون قريبا منك . أجل ، لقد اقترفت جريمة . فلنهرب .

بوشكينا : عندي أطفال .

دنتيس : انسيهم .

بوشكينا : آه ، لن يكون هذا مهما كلف الأمر !

دنتيس : سأقرع بابه .

بوشكينا : لا تجرؤ . أوتريد هلاكي حقاً ؟

(يقبّل دنتيس بوشكينا)

يا لشدة عذابي ! لمَ ، لمَ ظهرت في طريقنا ؟

جعلتني اكذب واعيش في خوف دائم ...

لا النوم يلمّ بي ليلا ولا الطمأنينة نهارا ...

(تدق الساعة)

يا إلهي ! اذهب !

دنتيس : تعالي الى بيت إيداليا ثانية . يجب أن نتكلم .

بوشكينا : وافني غدا الى الحفلة الراقصة التي تقيمها فورونتسوفا في الحديقة الشتوية .

يستدير دنتيس ويخرج

(**تصيخ السمع**) . هل سيقول نيكيتا شيئا أم لا ؟ لا ، لن يقول شيئا ، لن يقول شيئا مهما كلف الأمر .

(**تهرع الى النافذة ، تتطلع منها**) . يا لشقائي !

(**ثم تهرع الى باب المكتب وتقرب أذنها**) . نائم .

(**ترسم علامة الصليب ، تنفخ على الشمعات وتطفئها وتمضي الى الغرف الداخلية**) .

ظلام، ينجلي الظلام عن نهار شتوي، غرفة الطعام في شقة سيرغي فاسيليفتش سلتيكوف ، وإلى جانبها مكتبة غنية . يُرى من المكتبة قسم من

غرفة الاستقبال ، في غرفة الطعام أعدت مائدة فطور ، فيلات' يقف قرب الباب .

كوكولنيك : اسمحي لي يا الكسندرا سيرغييفنا أن أقدم لك أفضل شعرائنا فلاديمير غريفوريفتش بينيدكتوف . إنه مشعل حقيقي وموهبة حقيقية !

بينيدكتوف : آه ، نستور فاسيليفتش !

كوكولنيك : هل أيدتماني أيها الضابطان ! فأنتما تقدران أعماله تقديراً عاليا .

(الضابطان في فوج بريئبراجنسكي وهما ابنا سلتيكوف يبتسمان) .

سلتيكوفا : (٧) . Enchanteé de vous vorir

إني سعيدة جداً برؤيتك ياسيد بينيدكتوف . وسيرغي فاسيليفتش هو أيضا يحب أدباءنا . (إثر بينيدكتوف وهو انسان متواضع يرتدي لباس الموظفين المدنيين الرسمي يقترب أميرأعرج من يد سلتيكوفا هو بيوتر دولغاروكوف) .

---

٧ ـ سعيدة جدا برؤيتك (بالفرنسية) .

سعيدة برؤيتك أيها الامير بيوتر فلاديميروفتش.
(في غرفة الطعــام يظهر ايفــان فرفولوميفتش بوغامازوف) .

بوغومازوف : الكســندرا سيرغييفنا . (**يــدنو مــن يــد سلتيكوفا**) . كأن سيرغي فاسيليفتش المحترم لم يحضر بعد على ما أرى ؟

سلتيكوفا : سيكون هنا بعد قليل . طلب أن تعذروه . لا بد أنهم أخّروه قليلا في المكتبة .

بوغومازوف : (**مخاطبا كوكولنيك**) . كنتُ البارحــة في المســرح وشاهدت مسرحيتك . متعة كاملة ! والجمهور ؟ لا مجال لإبرة أن تسقط على الأرض! اسمح لي أن أهنئك وأقبلك . لسنين عديدة يا نستور فاسيليفتش !

فيــلات : سيرغي فاسيليفتش وصل .

كوكولينك : (**مخاطباً بينيدكتوف بصوت خافت**) . سترى الآن عجباً يا أخ .
يدخل سلتيكوف . إنه يضع قبعة عالية ويرتدي معطف فرو ويحمل عصا ويتأبط مجلداً . يمضي

الى فيلات دون أن يلتفت الى أحد . بينيدكتوف ينحني لسلتيكوف لكن انحناءته تضيع في الفراغ. دولفاروكوف وبوغومازوف وكوكولنيك ينظرون الى السقف متظاهرين بعدم رؤية سلتيكوف . فيلات يملأ كأساً صغيرة بالفودكا . سلتيكوف يلقي على الضيوف نظرة شاردة ، يرشف ويتناول كسرة خبز أسود ، يضيّق عينيه . الضابطان يبتسمان .

سلتيكوف : **(محدثاً نفسه)** . أعجبك هذا ؟ ! Secundus pars ! Secundus ! (٨) (يضحك **ضحكة شيطانية ويخرج)** .

(بينيدكتوف يشحب وجهه) .

سلتيكوفا : Mon mari ... (٩) .

كوكولنيك : رجاء لا تشغلي بالك يا الكسندرا سيرغييفنا ، كلنا يعرف ، كلنا يعرف . تكلمي بلغة البلد

---

(٨) الجزء الثاني ! (باللاتينية) . سلتيكوف يؤكد على الخطأ المطبعي، والصحيح هو Secunda (وللحقيقة التاريخية كان عند سلتيكوف هذا الكتاب وفيه الخطأ المطبعي المشار اليه) .

(٩) زوجي (بالفرنسية) .

يا الكسندرا سيرغييفنا . ستسمعين كيف تتردد لغتنا على شفتي شاعر .

سلتيكوفا : (**متوجهة الى بينيدكتوف**) زوجي غريب الأطوار الى حد فظيع . وآمل الا يمنعك هذا من أن تشعر بعدم الكلفة عندنا .

(يعود سلتيكوف ، إنما دون قبعة ومعطف وعصا ، وهو ما يزال يتأبط المجلد . هنا الجميع يتطلعون إليه بوجوه دبت فيها الحياة) .

سلتيكوف : آه ، ما أشد سروري ! (**ينقر على المجلد**) .
Secundus pars ! Secundus !
خطأ مقصود ! Corpus juris romani ! Elzevir ! (١٠)
(**مخاطبا الضابطين**) مرحبا يا أبنائي !
(**الضابطان يبتسمان**) .

بوغومازوف : اسمح لي بإلقاء نظرة عليه يا سيرغي فاسيليفتش .

سلتيكوف : مكانك !

---

(١٠) مجموعة الشرائع الرومانية ! ايلزفير ! (باللاتينية) . ايلزفير هي مطبعة هولندية من القرنين السادس عشر والسابع عشر .

سلتيكوفا : سيرج ، ما هذا بحق الله !

سلتيكوف : لا تطبع الكتب كي تلمسها الأيدي . **(يضع الكتاب على الموقد . متوجها الى سلتيكوفا) .**
إذا مسسته فقط . . .

سلتيكوفا : لا افكر في هذا ، وهو لا يلزمني .

سلتيكوف : فيلات ، بعض الفودكا ! أرجوكم .

سلتيكوفا : أرجوكم التفضل الى المائدة .
(يجلسون الى المائدة . فيلات يقوم على خدمتهم .)

سلتيكوف : **(وهو ينظر الى يد كوكولينك)** . وأنت يمكننا أن نهنئك .

كوكولينك : أجل ، جلالته أنعم علي .

دولغاروكوف : يد العلي كافأتك يا سيد كوكولنيك .

سلتيكوف : خاتم متوسط !

كوكولينك : سيرغي فاسيليفتش !

سلتيكوف : بمناسبة الخاتم هذا تحضرني الحادثة التالية .
فيلات ما الذي هناك على الموقد ؟

فيـلات : كتـاب .

سلتيكوف : لا تسع حوله .

فيـلات : امـرك .

سلتيكوف : أجل،اذكر انه في فترة شبابي أنعم علي الامبراطور بافـل بنجمة مرصعة بماسات ذات حجم غير عـادي .

(الضابطان ينظران بطرفي عينيهما الى سلتيكوف).

أما هذا الخاتم فأنا نفسي أستطيع ان أشتري لنفسي واحداً بمائتي روبل أو بمائة وخمسين .

سلتيكوفا : سيرج ، ما هذا الذي تقوله !

(بينيدكتوف مسحوق) .

هذا كله كذب . ليس عندك أي نجمة .

سلتيكوف : انت لا تعرفينها . إني اخفيها عن اعين الناس منذ سبع وثلاثين سنة مع علب النشوق .

سلتيكوفا : انت تهذي .

سلتيكوف : لا تستمعوا إليها ايها السادة . النساء لا يفهمن شيئا في المكافآت التي يوزعها الأباطرة الروس..

إليكم ما رايته للتو ... كنت في شارع نييفسكي ... رايت Le grand bourgeois (11) فيالعربة ، وحوذيه انتيب ...

بوغومازوف : تريد أن تقول ... رايت جلالة الامبراطور يا سيرغي فاسيليفتش ؟

سلتيكوف : نعم ، هو بذاته .

بوغومازوف : حوذي الامبراطور اسمه بيوتر .

سلتيكوف : لا ، انتيب هو حوذي الامبراطور .

دولغاروكوف : إذا لم أكن مخطئا يا سيرغي فاسيليفتش فان قصة النجمة هذه حصلت مع قصة الحصان ؟

سلتيكوف : لا ايها الأمير . هذه حدثت لي فيما بعد ، في عهد الامبراطور الكسندر . (**مخاطبا بينيدكتوف**) . هكذا إذن، انت تشتغل بالشعر؟

بينيدكتوف : اجل .

---

(11) البرجوازي الاول (بالفرنسية) .

سلتيكوف : عمل خطر . ها هو ذا زميلك في القلم بوشكين جلد من فترة في الفرع الثالث التابع للمكتب الخاص لجلالته .

سلتيكوفا : لا يمكن بأي شكل كان الجلوس معك الى المائدة. اي أخبار مزعجة تلك التي ترويها !

سلتيكوف : كلا ، من فضلكم ، أيهـا السادة ! (**مخاطبا سلتيكوفا**) . عبثاً تقابلين هذا بهدوء . أنت أيضا يمكن أن تجلدي .

سلتيكوفا : كفى ، أرجوك .

دولفاروكوف : بالمناسبة يقال إن هذا صحيح . كما إني سمعت أن هذا كان من فترة طويلة جدا .

سلتيكوف : لا ، لقد سمعت هذا للتو . كنت اعبر قرب جسـر تسيبنوي ، سمعت شخصاً يصرخ . سألت : ما هذا ؟ قيل لي هذا ، يا سيدي ، بوشكين يجلدونه .

بوغومازوف : حنانيك يا سيرغي فاسيليفتش . هذا مـن الإشاعات الكاذبة التي تنتشر في بطرسبرج !

سلتيكوف : كيف تقول إشاعات ؟ انا نفسي كدت أجلد ذات مـرة . الامبراطور الكسندر أراد ان يشتري حصاني وعرض سعرا جيداً ـ عشرة آلاف روبل. لكني قتلت الحصان كي لا أبيعه له . وضعت المسدس على أذن الحصـان وأطلقت النـار . (**مخاطبا بينيدكتوف**) كل أشعارك عندي في المكتبـة ، الخزانة « ز » . هل الفت شيئـاً جديـدا ؟

كوكولنيك : طبعـاً ، يا سيرغي فاسيليفتش . (**مخاطبـاً بينيدكتوف**) . اقرأ لنا « ذكرى » . ايهـا الضابطان أنتما تحبان الشعر ، اطلبا إليه . (**الضابطان يبتسمان**) .

سلتيكوفا : بل نطلب كلنا . يقينا ، سيكون هـذا شيئاً لطيفاً بعـد هذه القصص الكئيبة عـن جلـد احدهم ...

بينيدكتوف : لكني ... لكني لا احفظها جيداً ...

سلتيكوف : كفّ عن القرقعة بالصحون يا فيلات .

بينيدكتوف : نينا ، هل تذكرين

كيف حملتُ ، انا المشبّب الدائم بك ،
مرتعشَ الجوارح
ومفتونا بسحرك
آه ، حقاً ، نسيت ... كيف ... كيف
كيف حملتُ الى وسط الحلبة
في الصالة الصاخبة
امام الجمهور الحاسد
قامتك المليئة بالإغراء
على كفٍّ من نار ؛
وكيف كانت يدي
تبتعد بكسل
عن نيران قدّك
المدهش المفعم بالنزوات .
وحين كنت تتعبين
وتجلسين لترتاحي
كان صدرك المائج بالغبطة
يبدو لي بحراً ،
وفي هـذا البحر ،

في زبده الأبيض كالحليب ،
ومن خلال الفلالة الرقيقة
كانت ترتسم موجتان ...
(الضابطان يتغامزان ، يرشفان)
كنتِ تصغين إلي بودّ
وخصلة شعرك الصهباء اللعوب
تنزلق على خدّي .
نينا ، هل تذكرين تلك الهنيهات
ام أن تيـار الزمن
جرف كل هذه الأشياء الغالية
في بحر النسيان البارد ؟

كوكولنيك : برافو ، برافو ! عظيم ! صفقا أيها الضابطان.
(الجميع يصفقون)

سلتيكوفا : عمل باهر !

بوغومازوف : قصيدة رائعة !

سلتيكوف : قد لا تُجلد .

فيـلات : (مخاطبـا سلتيكوفا) . الكونتيسـة الكسندرا كيريلوفنا فورونتسوفا تريد مقابلتك .

سلتيكوفا : ادعها الى غرفـة الاستقبال . (وهي تنهض) اسمحوا لي ايهـا السادة أن أترككم وحدكم . وتفضلوا دخنوا إذا أردتم **(تختفي في غرفـة الاستقبال)** .

ينتقل سلتيكوف مع ضيوفه الى المكتبة . فيلات يقدّم شمبانيا وغلايين .

كوكولنيك : نخب طليعة شعراء هذا الوطن !

بوغومازوف : أعِدْ ! أعِدْ !

سليتكوف : طليعة شعرائه ؟

كوكولنيك : أراهن على ذلك يا سيرغي فاسيليفتش .

سلتيكوف : أغافون !

« يظهر أغافون »

أغافون ! انقل السيد بينيدكتوف من الغرفـة الثانية ، الخزانة « ز » ، الرفّ الثالث عشر الى هذه الخزانة . أما السيد بوشكين فأعده الى تلك . **(مخاطبا بينيدكتوف)** . الأوائـل

عندي في هذه الخزانة . (**مخاطباً اغافون**) .
إيّاك أن يسقط منك على الأرض .

اغـافون : أمرك يا سيرغي فاسيليفتش (**يخرج**) .
(بينيدكتوف مسحوق)

دولفاروكوف : اشاطرك رأيك تماماً يا سيد كوكولنيك .
لكن تصوّر : صدف أن سمعت من يؤكد أن
بوشكين هو الأول .

كوكولنيك : هذه من ترهات المجتمع الراقي !
(يظهر أغافون وبيده كتاب . يصعد مرقاة قرب
الخزانـة)

سلتيكوف : تقول : بوشكين الأول ؟ قف عندك يا أغافون !
(يقف أغافون حيث هو على المرقاة)

كوكولنيك : إنه لا يكتب شيئاً من فترة طويلة .

دولفاروكوف : العفو ، كيف تقول هذا ـ لا يكتب ؟ هاك ،
من فترة قصيرة أعطاني أحـدهم نسخة مـن
قصيدتـه الأخيرة . لكنهـا ليست كاملة مـع
الأسف !
بوغومازوف وبينيدكتوف وكوكولنيك يتـأملون
النسخة . الضابطان يرشفان .

كوكولنيك : يا إلهي ، يا إلهي ، وهذا كلام يكتبه روسي !
أيها الضابطان لا تقربا هذه الورقة .

بوغومازوف : اي ــ يا ــ يا ! (**مخاطبا دولفاروكوف**)
اسمح لي أن انسخها ، فأنا ، العبد الخاطىء ،
احب الأدب السري .

دولفاروكوف : تفضل .

بوغومازوف : (**وهو يجلس الى الطاولة**) لكن إياك أن تقول
لأحد شيئا أيها الأمير ! هس ... (**يكتب**) .

كوكولنيك : إذا كان هذا الشعر يحظى باعتراف المعاصرين،
فاسمع مني يا فلاديمير : لا تكتب بالروسية !
لن يفهموك ! انسحب الى ذلك العالم الذي
ما تزال أشعار الفيري الالهية تتردّد فيه ! مدّ
يدك الى فرنشيسكو العظيم وقصائده
ستلهمك ! اكتب بالايطالية يا فلاديمير .

سلتيكوفا : (**وهي تخرج من غرفة الاستقبال**) . ما زلتم
تتناقشون أيها السادة ! (**تعبر غرفة الطعام
وتختفي**) .

بوغومازوف : برافو، برافو يا نستور فاسيليفتش !

بينيدكتوف : ما الذي اثار غيظك الى هذا الحد يا نستور ؟

كوكولنيك : نفسي لا ترضى بالظلم . كانت لبوشكين موهبة ، هذا لا شك فيه ، موهبة غير عميقة ، سطحية ، لكنها كانت موجودة . إلا انه بدّد هذه الموهبة ، ضيعها ! هو نفسه أطفأ مشعله الصغير ! صار عقيما كالجميزة ! ولن يتمكن من كتابة شيء إلا ما هو من قبيل هذه الأبيات المشينة . الشيء الوحيد الذي احتفظ به هو الغرور ! أي لهجة متغطرسة تلك التي عنده ! وأي عنف في أحكامه ! إني ارثي له !

بوغومازوف : برافو ، برافو ! يا لك من داعية !

كوكولنيك : إني أرفع كأسي نخب أول شعراء الوطن — بينيدكتوف .

فورونتسوفا : (**على عتبة المكتبة**) . كل ما قلته غير صحيح . (**توقف**) . آه ، كم هو مؤسف أن قلة فقط تستطيع أن تدرك تفوّق الأفذاذ عليها . . . ما أروع امتزاج العبقرية والثقافة عند بوشكين ! لكن ، وأسفاه ، لديه الكثير من الحساد والأعداء ! واعذروني... يا سادة ، لكن

يبـدو لي أن الحسد الأسود بالذات كان يتكلم بلسان هذا الانسان . ويقينا بينيدكتوف شاعر رديء جداً ، إنه فارغ ومتصنع ...

كوكولنيك : لو سمحت ياكونتيسة !
(دولغاروكوف يضحك من سعادته ضحكاً محبوساً وقد قبع خلف ظهر بوغومازوف)

سلتيكوفا : (**تعود الى المكتبة**) ، آه ألكسندرا كيريلوفنا . اسمحي لي أن أقدم لك الأديب نستور فاسيليفتش كوكولنيك وفلاديمير غريفوريفتش بينيدكتوف .
(دولغاروكوف يكاد يختنق من سعادته،الضابطان يتراجعان بهدوء الى غرفة الطعام ويختفيان فيها)

فورونستوفا : آه ، يا إلهي ... اعذروني من فضلكم ، لقد اندفعت ... اعذروني ... أنا خارجة يا الكسندرا سيرغييفنا العزيزة ! (**تختفي في غرفة الاستقبال**) .
تمضي سلتيكوفا في إثر فورونتسوفا . يظهر بينيدكتوف في غرفة الطعام مكشر الوجه وخلفه كوكولنيك .

بينيدكتوف : لماذا أتيت بي الى حفلة الفطور هذه ! كنت جالسا في بيتي بهدوء ... دائما أنت ، دائما وأبدا أنت ...

كوكولنيك : أيمكنك حتا أن تأخذ على محمل الجد هذيان سيدة من المجتمع الراقي ؟

سلتيكوف : أغافون ! انزل الاثنين معاً : بوشكين وبينيدكتوف ، وضعهما في تلك الغرفة ، الخزانة الثالثة عشرة .

الســتار

الفصـــل الثـاني

الوقت ليـلا ، قصر فورونتسوفا . حديقة شتوية ، فسقية . بين الأعشاب أنوار . بين الشباك ترفرف طيور مذعورة . في العمق رواق تليـه غرفة استقبال خاليـة . يتناهى من بعيد أنين أوركسترا وحفيف صادر عن جمهور . عند الرواق ينتصب زنجي دون حراك وعليه عمامة شرقية . في الخميلة بالذات يجلس دولغاروكوف على ديوان صغير وهو في لباس الحفـل الراقص متخفيا عن أعين الناس . أمـام دولغاروكوف شمبانيا . دولغاروكوف يتنصت الى الأحاديث التي تدور في الحديقة الشتوية . تجلس بوشكينا في مكان غير بعيد عن الرواق والى جانبها نيقولاي الأول .

نيقولاي الأول : اي حزن يمزقني حين أسمع سقسقة الماء في الفسقية وزقزقة الطيور في هذه الخميلة !

بوشكينا : لماذا ؟

نيقولاي الأول : هذه الطبيعة الصنعية تذكرني بالطبيعة الحقيقية ، وخرير الينابيع الهادىء وأفياء غابات البلوط ... لو كان بإمكاني أن ألقي عني هذا اللباس الثقيل وأنطلق الى خلوة الغابات البعيدة والوديان الهادئة ! هناك فقط ، في انفراده مع الأرض يستطيع القلب المعذّب أن يرتاح ...

بوشكينا : إنك مرهق .

نيقولاي الأول : لا يعرف احد ، ولن يدرك أحد ابدا اي عبء ثقيل كتب علي أن أحمله !

بوشكينا : لا تكدّرنا جميعاً بهذه الكلمات الحزينة .

نيقولاي الأول : هل أنت صادقة فيما تقولين ؟ بلى ، بلى . كيف يمكن لمثل هاتين العينين الصافيتين أن تكذبا . إني أقدّر كلماتك هذه ، فأنت وحدك وجدتها لي . اريد أن أصدق أنك امرأة طيبة . لكن شيئاً واحدا يخيفني دائماً ما أن انظر إليك ...

بوشكينا : ما هو ؟

نيقولاي الأول : جمالك . آه ، ما أشد خطره ! حافظي على نفسك ، حافظي عليها ! إنها نصيحة من صديق، صدقيني !

بوشكينا : عطفك علي شرف كبير لي !

نيقولاي الأول : آه ، صدقيني ، إني اقول لك هذا بقلب مفتوح ونفس طاهرة . إني أفكر فيك كثيرا .

بوشكينا : وهل استحق هذا الشرف ؟

نيقولاي الأول : اليوم مررت قرب بيتكم ، لكن الستائر كانت مسدلة .

بوشكينا : لا احب ضوء النهار ، غبش الشتاء يريحني .

نيقولاي الأول : أفهمك . إنما هناك أمر لا ادري سببه وهو أني في كل مرة أخرج فيها أشعر بقوة مجهولة تجذبني الى بيتكم ، ودونما قصد مني التفت واتريث لعل وجهاً يلوح في النافذة ولو للحظة . .

بوشكينا : لا تتكلم هكذا . . .

نيقولاي الأول : لماذا ؟

بوشكينا : إنه يثير البلبلة في نفسي .

(يخرج كامر يونكر من غرفة الاستقبال ، يقترب من نيفولاي الأول)

الكامر يونكر : صاحبَ الجلالة الامبراطورية ، صاحبة الجلالة الامبراطورية أمرتني أن أبلغكم أنها ستغادر مع الأميرة العظيمة ماريا بعد عشر دقائق

(تنهض بوشكينا ثم تعود فتجلس قليلاً ثم تنهض ثانية وتمضي الى غرفة الاستقبال وتختفي)

نيفولاي الأول : يجب أن تقول : مع صاحبة السمو الامبراطوري الأميرة العظيمة ماريا نيقولايفنا ، هذا الى أنه لا تجوز مقاطعتي حين أتحدث مع احد . بليد ! أبلغ جلالتها أني سأكون عندها خلال عشر دقائق . واطلب الى جوكوفسكي الحضور إلي .

(يخرج الكامر يونكر . يبقى نيفولاي الأول وحده بعض الوقت . ينظر الى البعيد نظرة ثقيلة . يدخل جوكوفسكي واضعاً النجمة والنوط وهو ينحني محيياً)

جوكوفسكي : هل شاءت جلالتكم الامبراطورية ان تراني ؟

نيقولاي الأول : فاسيلي أندرييفتش ، إني لا ارى جيداً من مكاني هذا ، من ذاك الأسود الواقف قرب العمود ؟

(جوكوفسكي يحدق إنه مسحوق)

لعلك تستطيع ان تفهمه أن هذا غير لائق .

(جوكوفسكي يتنهد)

ما هذا الذي يرتديه ؟ إنه ، على ما يبدو ، لا يدرك كل ما في تصرفه من سخف وبهتان . أو لعله كان يعتزم مع غيره من الليبراليين الذهاب الى Convention nationale (١) فوجد نفسه خطأ في حفل راقص ؟ أم إنه يفترض انه يسبغ علي شرفاً فائقاً إن هو ارتدى السترة الرسمية التي انعمت بها عليه ؟ قل له إني لا أبقي أحداً في خدمتي عنوة . مالك تلزم الصمت يا فاسيلي اندرييفتش ؟

جوكوفسكي : لا تغضب عليه يا صاحب الجلالة الامبراطورية ولا تؤدبه .

---

(١) **الجمعية الوطنية (بالفرنسية) . اشارة الى الجمعية الوطنية التي حكمت فرنسا من عام ١٧٩٢ الى ١٧٩٥ واعلنت الجمهورية واعدمت لويس السادس عشر .**

نيقولاي الأول : لا يحسن بك ان تقول هذا الكلام يا فاسيلي اندريفتش ، فليس هذا اول يوم يعرف فيه أحدنا الآخر . انت تعلم أني لا أؤدب أحدا أبدا، القانون هو الذي يؤدب .

جوكوفسكي : آخذ على عاتقي جراة القول : نظام تربية فاسد ، ذلك المجتمع الذي أمضى فيه شبابه..

نيقولاي الأول : المجتمع ! يقينا لا أدري اهو المجتمع أثر فيه ام هو الذي أثّر في المجتمع . يكفي أن تذكر الأبيات التي أمتع بها أصدقاءنا « أصدقاء الرابع عشر من ديسمبر » .

جوكوفسكي : يا صاحب الجلالة ، هذه قصة قديمة جدا !

نيقولاي الأول : لم يتغير فيه شيء .

جوكوفسكي : يا صاحب الجلالة ، لقد أصبح من اشد مجليك اندفاعا ...

نيقولاي الأول : أعرف طيبتك يا فاسيلي اندريفتش العزيز . انت تصدق هذا ، أما انا فلا أصدقه .

جوكوفسكي : يا صاحب الجلالة كن سمحاً وكريماً مع شاعر مدعو لأن يصنع مجد الوطن ...

نيقولاي الأول : لا ، يا فاسيلي اندريفتش ، لا . بمثل هذه الأشعار لا يمكن صنع مجد الوطن . منذ فترة قصيرة اتحفنا بشيء جديد : قصة بوغتشوف . يعجبك هذا ؟.. يقول : الشرير لا تاريخ له . لديه بشكل عام ميل غريب الى بوغتشوف . في القصة يشبهه بالنسر ! لا حاجة الى مزيد من الكلام ، أنا لا أصدقه ، ليس عنده قلب . هيا بنا الى الامبراطورة ، كانت تريد أن تراك

(يتجه الى الرواق) .

(الزنجي يتحرك من مكانه ويتبع نيقولاي الأول . جوكوفسكي يتجه الى الرواق ، يلقي نظرة الى البعيد ، يهدد خلسة شخصاً ما بقبضته . يغادر) .

(فورونتسوفا وفورونتسوف يخرجان للقاء نيقولاي الأول ، ينحنيان)

فورونتسوفا : Sire ! .. (٢) .

فورونتسوف : ... ! Votre Majesté Impériale ! (٣)

(يبتعدون . يتسلل بوغومازوف مندفعاً الى

---

(٢) مولاي !... (بالفرنسية) .

(٣) يا صاحب الجلالة الامبراطورية ! (بالفرنسية) .

الحديقة الشتوية ليس من جهة الرواق بل من مكان آخر جانبي ، إنه يرتدي السترة الرسمية ويضع أوسمة . يسرع الى الخميلة) .

دولفاروكوف : على رسلك ، المكان مشغول .

بوغومازوف : بَهْ ! الأمير ! إنك لناسك كما ارى ؟

دولفاروكوف : وأنت أيضا . لا بأسَ ، اجلس . يمكنك ان تقول ما تشاء في أي شيء هنا إلاّ الشمبانيا ، فهي جيدة .

بوغومازوف : أي حفل راقص هذا ، آ ؟ سميراميس ؟ هل تحب حفلات الرقص ايها الأمير ؟

دولفاروكوف : أعبدها . كم ترى فيها من الأنذال !

بوغومازوف : إي ، إي ، حذار يا بيتينكا !

دولفاروكوف : انا لست بيتينكا بالنسبة إليك !

بوغومازوف : كيف لا تكون بيتينكا ؟ أنت ، ايها الأمير الصغير ، كنت ما تزال توسّخ قمطك في حين كنتُ انا مستشاراً فعليا لجلالته .

دولفاروكوف : إني مضطر يـا صاحب السعادة ان اطلب إليك عدم التفوّه بهذه الكلمات السوقية .

بوغومازوف : في الحفل زهرة الأرستقراطية ايها الأمير !

دولفاروكوف : فيهذا الحفل خمسة إرستقراطيين بالضبط . والوحيد فيهم الـذي لا شك في ارستقراطيته هو انا .

بوغومازوف : عجباً ! كيف هذا ؟ لقد أثرت فضولي .

دولفاروكوف : هذا لأني أنحدر من سلالة قديس . اجل . من سلالة الأمير العظيم ميخائيل فسيفولودوفتش تشيرنيغوفسكي ، الشهيد المرفـوع الى مصاف القديسين .

بوغومازوف : حسب الواحد منا أن ينظر إليك حتى يرى أنك من سلالة قديس (**يشير الى البعيد**) ومن يكون هذا في رأيك ، أليس ارستقراطياً ؟

دولفاروكوف : بل أفضل ! لقد اشترى من عشيقة الوزير لقب غوفميستر . وعلى الرغم مـن كل حقارة مظهره صار صاحب مال وجاه .

بوغومازوف : حسناً يا بيتينكا .و هذه ؟ أليست الأميرة آنا فاسيليفنا ؟

دولفاروكوف : هي نفسها . يا لها من عجوز ممتلئة بالحيوية والنشاط ! آن لها ، الحيزبون ، أن تمضي الى القبر ، وهي ما زالت تجري من حفلة الى أخرى!

بوغومازوف : يا له من لسان ، والـذي معها أليس ايفان كيريلوفتش ؟

دولفاروكوف : لا ، بل اخوه غريفوري ، بهيمة معروفة .

بوغومازوف : إياك أن يسمعك أحـد يا أمير ، وإلا حـدث ما لا تحمد عقباه .

دولفاروكوف : لن يحدث شيء . أبغضهم ! أهل البلاط ، العبيد ! والله لا أعـرف من منهم أقرف من أخيـه !

بوغومازوف : طبعا ، أنى لهم أن يصلوا الى مرتبة القديس الشهيد بيتينكا !

دولفاروكوف : لا تتظارف ، ارجوك . (يشرب) . لقد كان حاضراً هنا بنفسه .

بوغومازوف : جلالتــه ؟

دولفاروكوف : نعم ، هو .

بوغومازوف : مع من تحدث ؟

دولفاروكوف : مع زوجة العــربي . ومــاذا حصل ! لقد تكرّمتَ بالوصول متأخراً .

بوغومازوف : مــاذا ؟

دولفاروكوف : مسح بلطف على يدها . سيكافأ شاعرنا مرة أخرى عن قريب .

بوغومازوف : يبدو لي أنك تبغض بوشكين .

دولفاروكوف : احتقره ! شيء مضحك ! قرن . هنا يجري tête-à-tête (٤) ، وهو يقف هناك عند العمود في فراكــه القميء ، شــعره منفوش وعينــاه تقدحــان كعيني الذئب . هــذا الفراك سيكلفه غاليــاً .

---

(٤) لقاء على انفراد (بالفرنسية) .

بوغومازوف : كانت هناك إشاعة ، أيها الأمير ، كانما كتب فيك قصيدة هجاء ؟

دولغاروكوف : أسخر من الشعر الذي يفتقر الى الموهبة ! هس ، اخفض الصوت !

(يدخل غيكيرن الى الحديقــة . تتبعه بوشكينا بعد قليل) .

غيكيرن : كنت أراقبك وعندهــا ادركت لمــاذا يدعونــك أفروديت الشمال . ماأشد تألقك !

بوشكينا : آه ، بارون ، بارون ...

غيكيرن : أنا أدرك على أي حــال مــدى ضيقك بجموع المتودّدين إليك . اجلسي يا ناتاليا نيقولايفنا ، ألن أسبب لك مللاً ؟

بوشكينا : إطلاقا ، بل إنني في غاية السرور .
(توقف) .

غيكيرن : سيصل بعد قليل .

بوشكينا : لا أفهم شيئاً . عمن تتحدث ؟

غيكيرن : آه ، لماذا تجيبين هكذا شخصاً يكنّ لك الود . أنا لست خؤونا . آه ، كم من الشرور سيصنع جمالك ! أعيدي إلي ابني ، انظري ما فعلت به . إنه يحبك .

بوشكينا : لا أريد أن أسمع مثل هذا الكلام يا بارون .

غيكيرن : لا ، لا ، لا تذهبي . سيصل للتوّ ، إني هنا عن عمد كيما تستطيعا تبادل بضع كلمات .
(يدخل دنتيس الى الحديقة . غيكير ينسحب جانبا) .

دنتيس : يا للحفلة اللعينة ! يستحيل الاقتراب منك . هل كنت تتحدثين مع الامبراطور على انفراد ؟

بوشكينا : ماذا تفعل بحق الله ! لا تتكلم بهذا الوجه ، يستطيعون رؤيتنا من صالة الاستقبال .

دنتيس : كانت يدك في يده . لقد لمتني على ذنوبي أما أنت فغدارة .

بوشكينا : سأوافيك ، سأوافيك ، يوم الأربعاء ، الساعة الثالثة ، ابتعد عني الآن بحق كل ما هو مقدس .
(تظهر غونتشاروفا من الرواق) .

غونتشاروفا : إننــا نتأهب للمغــادرة . الكســـندر يبحث عنــك .

بوشكينا : حالا ، حالا. Au revoir, monsieur le baron(٥)

غيكين :
Au revoir, madame. Au revoir, mademoiselle

دنتيس :
Au revoir-mademoiselle. Au revoir, madame
(تصـــدح الموسيقا ظافرة . تخـــرج بوشكينا وغونتشــاروفا) .

غيكين : اذكري كل التضحيات التي قدمتهـــا في سبيلك
(يخرج مع دنتيس) .
(تلوح فورونتسوفا في غرفة الاستقبال . يتقدم الضيوف منها مودعين . تتوقف الموسيقا بغتـــة ويسـود الصمت فورا) .

دولغاروكوف : أحب حفلات الرقص ، أحبها .

بوغومازوف: وهل في هذا ما يقال !
(تدخل فورونتسوفا الى الحديقة من حيث خرج

---

(٥) الى اللقاء يا سيدي البارون (بالفرنسية) .

بوغومازوف . إنهـا جـدّ متعبة . تجلس على
ديوان صغير) .

دولفاروكوف : ما أروع هذا السفير ! ارأيت ما يجري !
ستنبت لبوشكين قرون كما في التاج ! من
الخلف قرنا القيصر ومن الأمام قرنا دنتيس !
وهناك أيضا الأب المتبني المحب !

بوغومازوف : ما أشد بغضك له أيها الأمير ! هيـا قل لي
يا صديقي الوفي ، وأقسم : لن أقول لأحد :
من ارسل له هذه الأهجية المغفلة التي احتدم
كل هذا اللغط بسببها ؟ فعلة بارعة ، أقول لك
بصراحـة ! منـذ شـهرين يقلبـون الـدنيـا
ولا يستطيعون معرفة مرسلها ، محبوكة بشكل !
هيا أيها الأمير ، قل بصراحة : من ؟

دولفاروكوف: من ؟ أنى لي أن أعرف ؟ ثم لماذا تسألني هذا
السؤال ؟ أيا كان مرسلها ، فهذا ما يستحقه !
لا بد ان يذكرها طويلا .

بوغومازوف : لا بدّ ، لا بدّ . إي ، الى اللقاء أيها الأمير .
سيطفئون الأنوار .

دولفاروكوف : الى اللقاء .

بوغومازون : أريد فقط ان أقول لك عند الوداع ، يا بيتيا ، وبكل ودّ : أمسك لسانك ! (**يختفي**) .

(يكمل دولفاركوف شرب ما بقي من الشمبانيا ويخرج من الخميلة) .

فورونتسوفا : الأمير ؟

دولفاروكوف : الكونتيسة ...

فورونتسوفا : لماذا تجلس وحدك ؟ ألم تضجر ؟

دولفاروكوف : العفو ، أيتها الكونتيسة ، هل يمكن لأحد أن يضجر في بيتكم ؟ حفلة رائعة !

فورونتسوفا : لست أدري لماذا شعرت ببعض الاكتئاب ؟

دولفاروكوف: انك تكدرينني أيتها الكونتيسة . لكن أؤكد لك : هذا من الاعصاب .

فورونتسوفا : لا ، إنها كآبة لا عزاء لها . كم من النذالات في هذه الدنيا ! ألم تفكر في هذا ؟

دولفاروكوف : كلّ يوم أيتها الكونتيسة . من له قلب حسّاس لا يسعه إلا أن يدرك هذا . إنه الانهيار

الأخلاق ــ ذلكم هــو عصرنا أيتها الكونتيسـة !
لكن لماذا هذه الأفكار الحزينة ؟

فورونتسوفا : (٦) Pendard ! منحط ! سافل !

دولغاروكوف : أنت مريضة أيتها الكونتيسـة . سأنادي أهل البيت !

فورونتسوفا : لقد سمعتك وانت تنافق . . . كنت مغتبطا لأن سافلاً أرسل لمضطهد أهجية. . . أنت نفسك الذي فعل هذا ؛ ولولا خشيتي من توجيه طعنة أخرى إليه لفضحتك أمامه ! يجب أن تقتل كما يقتل الكلب ! آمل أن تكون نهايتك على المقصلة ! هيا اخرج من بيتي ! أخرج ! (**تختفي**) .
(يأخذ النور في التناقص) .

دولغاركوف : (**وحده**) . كانت تتنصت . ياللها من قطـة متوجشة ! لابد أنها أيضا خليلته . كان أحد خلف العمود يسمع . أجل ، كان يسمع . إنه دائمـا ! وكل شيء بسببه هو . لكن حسناً ، ستذكرونني ! ستذكرونني جميعكم ، أقسـم لكم ! (**يتجه إلى الرواق وهو يعرج**) .

---

(٦) سافل (بالفرنسية) .

(ظلام . من قلب الظلام تظهر شموع خلف ستائر خضر . الوقت ليل . مكتب رسمي . خلف الطاولة يجلس ليونتي فاسيليفتش دوبيلت . ينشق الباب ويظهر النقيب في البوليس السياسي راكييف) .

راكييف : بيتكوف قادم إليكم ياصاحب السعادة .

دوبيلت : حسن .

(يغيب راكييف ويدخل بيتكوف) .

بيتكوف : احترامي ياصاحب السعادة .

دوبيلت : تحياتي . كيف صحتك أيها العزيز ؟

بيتكوف : بصلواتكم يا صاحب السعادة .

دوبيلت : لنفترض ، مع أنه لم يخطر ببالي قط أن أصلي من أجلك . بصحة جيدة إذاً ؟ ماذا زرت ليلا ؟

بينكوف : نظراً لوجودي في مشاغل دائمة وأخذاً بعين الاعتبار ...

دوبيلت : جلالته ليس محتاجاً إلى مشاغلك أيها العزيز . ما الذي كلفت به ؟ مراقبة سرية ، وعليك أن تقوم

بها على خير وجه . ثم لا تتكلم هنا بهذه الفذلكة، فأنت السبت على درج هيكل .

بينكوف : سمعا وطاعة . في مراقبتي السرية للكامر يونكر بوشكين تسللت حتى شقته .

دوبيلت : يالبراعتك ! ألم يفكوا لك رقبتك ؟

بينكوف : الله ستر .

دوبيلت : ما اسم خادمه ذاك ؟ فرول ، أليس كذلك ؟

بينكوف : لا ، نيكيتا .

دوبيلت : المغفل نيكيتا . تابع .

بينكوف : الغرفة الأولى ، ياصاحب السعادة ، مطبخ ...

دوبيلت : دعنا منها .

بينكوف : الثانية هي غرفة الاستقبال ، على البيانــو في غرفة الاستقبال مؤلفات السيد الكامر يونكر .

دوبيلت : على البيانو ؟ أي مؤلفات ؟

بينكوف : **« العاصفة تغطي السماء بالقتامة ، تلــف رقع الثلج في دوامة ... كالوحش حينا تعوي وحينا**

كالطفل تبكي . حينا تمـرق فـوق السقـف العتيق فتعلو خشخشة القش ، وحينا كعابـر سبيل متأخر تطرق على النافذة ... العاصفة تغطي السماء بالقتامة ، تلف رقع الثلج في دوامة .. كالوحش حينا تعوي، وحينا كالطفل تبكي».

دوبيلت : يا لذاكرتك القوية ! تابع .

بينكوف : تمكنت رغم الخطر الفظيع من التسلل مرتين الى مكتبه ، وهو مرصوص بالكتب .

دوبيلت : أي كتب ؟

بينكوف : اذكر مـا استطاعت عينـاي الوقـوع عليـه ، يا صاحب السعادة . الى يسار الموقد : البومة، طائر الليل ، الفارسة الحسناء ، قصة اللص المجيد فانكا كائين ... وأيضـاً : في السكر ، تأديب أحـدهم ليكون عبرة لغيره ، في مطبعـة الجامعة ...

دوبيلت : أوصيك بالكتاب الأخير . هل تشرب ؟

بينكوف : لا أعرف طعمه .

دوبيلت : فلندع الكتب . تابـع .

بينكوف : اليوم عثرت في أرض الغرفة على قصاصة ورقية خطيرة تقول : « تعال إلي فوراً وإلا حلت مصيبة » ، التوقيع وليم دجوك .

(دوبيلت يقرع جرسا ، يدخل راكييف) .

دوبيلت : ادع فاسيلي مكسيموفتش .

(يخرج راكييف ، يدخل فاسيلي مكسيموفتش وهو موظف في لباس مدني) .

وليم دجوك .

فاسيلي مكسيموفتش : لقد قلبنا بطرسبرج كلها يا صاحب السعادة . لا وجود لشخص بهذا الاسم .

دوبيلت : يجب أن تحضروه حتى يوم غد .

فاسيلي مكسيموفتش : لا أعرف ما أقول ، يا صاحب السعادة ، لكن لا وجود لشخص كهذا .

دوبيلت : ما هذه العجائب ، انكليزي يختفي في بطرسبرج .

راكييف : (**يدخل**) ، يا صاحب السعادة ، ايفان فرفولوميفتش بوغومازوف قادم في هذا الأمر بالذات .

دوبيلت : ليدخل .

(يخرج راكيبف ، يدخل بوغومازوف) .

بوغومازوف : أرجو المعذرة يا صاحب السعادة ، القسم يبحث عن دجوك ؟ إنه جوكوفسكي ، فهو يحب التوقيع بهذا الاسم على سبيل المزاح .

دوبيلت : **(مشيحاً بيده باتجاه فاسيلي مكسيموفتش)** حسناً . **(مخاطباً بوغومازوف)** تفضل بالانتظار يا إيفان فرفولوميفتش . بعد قليل أستقبلك .
(يخرج فاسيلي مكسيموفتش وبوغومازوف)
أوالست ابن كلب بعد كل هذا ؟ طفيليون ! مربي ولي العهد ابن القيصر والمستشار الأول لجلالته فاسيلي أندرييفتش جوكوفسكي ! ينبغي أن تعرف توقيعه !

بيتكوف : سهو ! متأسف يا صاحب السعادة ! . . .

دوبيلت : أقمت القسم وأقعدته. يجب لطمك على بوزك يا بيتكوف . تابع .

بيتكوف : اليوم قبيل المساء ظهرت على الطاولة رسالة موجهة الى أجنبي .

دوبيلت : الى اجنبي ثانية ؟

بيتكوف : الى اجنبي يا صاحب السعادة . الى السيد البارون غيكيرن ـ السفارة الهولندية ـ شارع نيفسكي .

دوبيلت : بيتكوف ! (**يمد يده**) . الرسالة ، الرسالة إلي ! هاتها لنصف ساعة .

بيتكوف : كيف هذا ... يا صاحب السعادة، الرسالة؟ أحكم بنفسك . لو أقفز الى المكتب اللحظة، يداي ترتجفان ..وهو قد يأتي في كل لحظة وسيلاحظ أن لا وجود للرسالة ... هذه مجازفة !

دوبيلت : إن يد اي منكم لا ترتجف أبداً عند استلام الأجر . اعلم بالضبط متى يتم إيصال الرسالة ، ومن يوصلها ، ومن في السفارة سيستلمها، ومن سيوصل الجواب . هيّا .

بيتكوف : سمعاً وطاعة ، هل أمرتم سعادتكم بتحرير الأجر ؟

دوبيلت : اجر ؟ من أجل دجوك هذا ينبغي ان نطلب منك نحن أجرا . اذهب الى فاسيلي

مكسيموفتش وقل له إني أمرت لك بثلاثين روبلا .

بينكوف : ثلاثين روبلاً يا صاحب السعادة ؟ عندي أطفال ...

دوبيلت : « جاء يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة فوعدوه بفضة ... » . وكان عدد هذه القطع ثلاثين تماماً يا صديقي العزيز . وتخليداً لذكراه ادفع للجميع هكذا ..

بينكوف : لو تتكرم يا صاحب السعادة وتجعلها ولو خمسة وثلاثين .

دوبيلت : هذا المبلغ ضخم جداً بالنسبة لي . هيا اذهب واطلب من إيفان فرفولوميفتش الدخول .
(يخرج بينكوف . يدخل بوغومازوف) .

بوغومازوف : هل تسمح يا صاحب السعادة فتحزر ما هذه الورقة ؟

دوبيلت : بعض الظن إثم . إنها نسخة من الرسالة الموجهة الى غيكرين .

بوغومازوف : إنك لساحر يا ليونتي فاسيليفتش (**يناوله** الورقــة) .

دوبيــلت : بل أنت الساحر . كيف تتصرف بكل هـذه البراعــة ؟

بوغومازوف : كانت المسودة في السلة . لكن الرسالة ناقصة مع الأسف .

دوبيــلت : أشكرك . هل أرسلتَ الرسالة ؟

بوغومازوف : غداً يحملها الخادم .

دوبيــلت : ومــاذا وراءك أيضــاً مــن أخبــار يا إيفــان فرفولوميفتش ؟

بوغومازوف : كنت في مأدبة الفطور الأدبية عند سلتيكوف .

دوبيــلت : ماذا يقول هذا الأفاك العتيق ؟

بوغومازوف : أشــياء فظيعــة ! يدعــو مولانــا الامبراطور البرجوازي الأول ... (**يخرج ورقــة**) هــذه أعطانيها إذاك بيتيا دولغاروكوف لأنسخها ..

دوبيــلت : الأعــرج ؟

بوغومازوف : هو نفسه .

دوبيلت : وماذا أيضاً يا إيفان فرفولوميفتش ؟

بوغومازوف : حفلة آل فورونتسوف (**يناوله ورقة**) .

دوبيلت : شكراً .

بوغومازوف : يجب الانتباه الى بيتكا الأعرج يا ليونتي فاسيليفتش . ليس هناك من قوى إنسانية تستطيع تحمل ما يهرف به ! يلقب الجميع بالعبيد . يجب كسر رجله الثانية . يقول إنه من سلالة قديس شهيد .

دوبيلت : سيأتي دور الشهداء أيضاً .

بوغومازوف : يشرّفني أن أنحني مستأذناً يا صاحب السعادة .

دوبيلت : إنك تقدم لنا خدمات جليلة يا إيفان فرفولوميفتش . وسيكون من أسباب سعادتي إحاطة الكونت علماً بها .

بوغومازوف : ليونتي فاسيليفتش ، إني متأثر بالغ التأثر . أنا أؤدي واجبي .

دوبيلت : مفهوم ، مفهوم . الا تلزمك نقود يا إيفان فرفولوميفتش ؟

بوغومازوف : يعني ، لابأس بحوالي مائتي روبل .

دوبيلت : وأنا سآمر لك بثلاثمائة روبل ليكون العدد صحيحاً أي ثلاثين تشير فونتسا . بلّغ فاسيلي مكسيموفتش من فضلك .

(ينحني بوغومازوف محيياً ويخرج) .

(يقرأ الأوراق التي حملها إليه بوغومازوف) .

« العاصفة تغطي السماء بالقتامة ... تلف رقع الثلج في دوّامة » . **(يسمع صوتاً ، يتطلع من النافذة ، يسوّي الكتفيات) .**

(ينفتح الباب ، يظهر عنصر بوليس سياسي هو بونومريوف ثم يدخل إثره نيقولاي الأول وهو يعتمر خوذة ضابط في الخيالة ومعطفاً ، يتبعه بينكيندورف) .

إحترامي يا صاحب الجلالة الامبراطورية . في هيئة أركان مديرية البوليس السياسي كل شيء على ما يرام يا صاحب الجلالة .

نيقولاي الأول : كنت امر مع الكونت من هنا ، رأيت النور مضاء عندك . الا زلت تعمل حتى الآن ؟ ألم أعطلك ؟

دوبيــلت : المعطف يا بونو مريوف .

(يتناول بونــو مريوف معيفي نيقــولاي الأول وبينكيندورف ويخرج) .

نيقولاي الأول (وهــو يجلس) : إجلس يا كونت ، إجلس يا ليونتي فاسيليفتش .

دوبيــلت (واقفاً) : انا تحت امركم يا صاحب الجلالة .

نيقولاي الأول : فيم انت مشغول ؟

دوبيــلت : اقرأ أشعاراً يا صاحب الجلالة . كنت مزمعاً على تقديم تقرير لسعادته .

نيقولاي الأول: قدّم تقريرك ، لن ازعجكم . **(ياخــذ كتابــاً ويقلبــه)** .

دوبيــلت : أولاً ، يا صــاحب الســـعادة ، العاطلــون المتسكعون ينسخون قصيدة بوشكين التي كتبها بمناسبة لوحة برولوف « الصلب » ويوزعونها. ومع الأسف ، ليس في حوزتي مقاطع منهــا . تذكرون والا بد أنكم أمرتم بوضع حرس عند اللوحة **(يقرأ)** . لكننا نرى الآن عند اقــدام الصليب

المقدس ، قد وضع مكان النساء القديسات
حارسان مخيفان يحملان البندقية ويعتمران
الخوذة كما لو انهما يقفان أمام بيت حاكم المدينة.
لماذا ، قولوا لي بحق الله ، هذا الحرس ؟ أويكون
الصلب مال الدولة
تخشون عليه اللصوص أو الفئران ؟...
هنـا مقطع ناقص .
أم تخشون أن يسيء الجمهور
الى من بموته افتدى أبناء آدم ؛
فأمرتم بألا يدعوا الشعب البسيط
يأتي الى هنا كي لا يزعج السادة المتسكعين ؟

بينكيندورف : ما عنوان القصيدة ؟

دوبيلت : السلطة الدنيوية .

نيقولاي الأول : هذا الانسان قادر على فعل أي شيء الا الخير
لا يكن احتراماً لله ولا حباً للوطن .... آه منك
يا جوكوفسكي ! دائماً وأبداً يدافع عنه ...
وكيف يدور لسانه ! رحمة بأسرته ، رحمة
بزوجته ، زوجته امرأة جيدة . تابع يا ليونتي
فاسيليفتش .

دوبيلت : بالاضافة الى ذلك عثر لدى تفتيش الطالب أندريه سيتنيكوف على قصيدة قصيرة منسوخة والتوقيع أيضا هو أ. بوشكين .

بينكيندورف : اقرأها من فضلك .

دوبيلت : أسمح لنفسي أن أبلغ سعادتك أن فيها أشياء مزعجة .

نيقولاي الاول (وهو يتصفح الكتاب) . اقرأ .

دوبيلت : **(يقرأ)** في روسيا لا وجود للقانون ،
بل هناك عمود وعلى العمود تاج(٧) .

نيقولاي الاول : هو أيضا ؟

بينكيندورف : من الملفت للنظر حقا انه أيا كان كاتب مثل هذه السفالات ، فالناس تنسبها الى السيد بوشكين . صار شخصية وأي شخصية !!

نيقولاي الاول : معك حق . **(مخاطبا دوبيلت)** استمر في التحقيق .

---

٧ ـ كان الناس يتداولون سرا هذه الابيات وقد نسبت الى الشاعر م.ف. ميلونوف .

بينكيندورف : هل هناك أمرٌ آخر عاجل ؟

دوبيلت : طبعا يا صاحب السعادة : اني أتوقع مبارزة في العاصمة في وقت لا يتعدى يوم بعد غد .

بينكيندورف : بين من ؟

دوبيلت : بين رجـل بلاط جلالته الكامر يونكر ألكسندر سيرغييفتش بوشكين وضابط فـوج الخيـالة البارون إيغور أوسيبوفتش غيكيرن ـ دنتيس . في حوزتي نسخة من مسودة الرسالة المهينة التي وجهها بوشكين الى البارون غيكيرن الأب .

نيقولاي الاول : اقرأ الرسالة .

دوبيلت (يقرأ) . « ... وكعاهرة عجوز كنت تترصـد زوجتي في الزوايا لتحدثها عن حب ابنك غـير الشرعي . وعندما كان يبقى في البيت مريضـا بمرض مشين كنت تقـول ... » هنا مقطـع محذوف . « ... لا أرغب أن تستمر زوجتي في الاستماع الى نصائحك الابوية ... » مقطـع محذوف . « ... لقد تجرأ ابنك على التحدث اليها لانه طائش وسافل . يشرفني أن ... »

نيقولاي الاول : سينتهي نهاية سيئة . أؤكد لك يا الكسندر خرستوفوروفتش انه سينتهي نهاية سيئة . أرى هذا بوضوح الآن .

بينكيندورف : انه غاوي مبارزة يا صاحب الجلالة .

نيقولاي الأول : أصحيح أن غيكيرن كان يتهامس مع بوشكينا؟

دوبيلت : هذا صحيح ، يا صاحب الجلالة ، البارحة في حفلة فورونتسوفا .

نيقولاي الأول : السفير ... العفو يا ألكسندر خرستوفوروفتش لاني ألقيت على كاهلك عبئا كهذا . انه عناء حقيقي .

بينكنيدورف : انه واجبي يا صاحب الجلالة .

نقولاي الاول : انسان ذو حياة مشينة . لن يستطيع أن يمحو عن نفسه أبدا ومهما فعل وصمات العار هذه أمام الاجيال القادمة . الزمن سينتقم منه لأشعاره هـذه ولأنه سخر موهبته لا لتمجيد الشرف القومي بل لتدنيسه . وسيموت ميتـة غير مسيحية . يجب التعامل مـع المتبارزيـن حسب القانون . (**ينهض**) . ليلـة هانئـة .

لا ترافقني يا ليونتي فاسيليفتش . لقد مكثت هنا اكثر مما ينبغي . آن لي أن أخلد الى النوم

(يخرج برفقة بينكيندورف) .

(يعود بينكيندورف بعد قليل) .

بينكيندورف : قلب طيب قلب الامبراطور .

دوبيلت : قلب ذهبي .

(توقف)

بينكيندورف : ما العمل بالنسبة للمبارزة ؟

دوبيلت : سنعمل ما تأمر به سعادتكم .

(توقف)

بينكيندورف : لو ترسل بعض رجالك الى مكان المبارزة ليقبضوا على المتبارزين مع مسدساتهم ويقدموهم للمحاكمة . لكن خذ في حسابك أنهم قد يغيرون المكان .

دوبيلت : أدرك ذلك ، يا صاحب السعادة .

(توقف)

بينكيندورف : أي رام دنتيس هذا ؟

دوبيلت : رام ممتاز . عشر خطوات .

بينكيندورف : إني أشفق على الامبراطور .

دوبيلت : بالتأكيد !

(توقف)

بينكيندورف : **(وهـو ينهض)** خـذ الاجـراءات المناسبة يا ليونتي فاسيليفتش كي لا يخطىء رجالك ، وإلا فقد يذهبون الى غير المكان المطلوب ....

دوبيلت : أمرك يا صاحب السعادة .

بينكيندورف : ليلة هانئة يا ليونتي فاسيليفتش . **(يخرج)**

دوبيلت : **(وحده)** « العاصفة تغطي السماء بالقتامة ، تلف رقع الثلج كما في دوامـة ... » . « الى غير المكان المطلوب » !.. سهل عليك الكلام ... « العاصفة تغطي السماء بالقتامة ... » . الى غير المكان المطلوب ؟ **(يقرع الجرس)** .
(ينشق الباب)
النقيب راكييف إليّ !

ظــلام

الســتار

الفصـــل الثالــث

شقة غيكيرن . سجاجيد ، لوحات ، مجموعات اسلحة. غيكيرن جالس يستمع الى علبة تصدر موسيقا . يدخــل دنتيس .

دنتيس : نهارك سعيد يا ابي .

غيكيرن : آه ، مرحبا يا صغيري العزيز . تعال اجلس هنا. لم أرك من زمن وقد اشتقت إليك . لكن مالي أرى عــدم الرضى على وجهك ؟ صارحني ، فصمتك يسبب لي العذاب .

دنتيس : J'étais très fatigué ces jours-ci (١) أشعر بالكآبة . هذا هو اليوم الثالث والعاصفة على أشدّها . يتهيأ لي أني لن أستطيع اعتياد

---

(١) كنت جد متعب في الأيام الأخيرة (بالفرنسية) .

هذا المناخ حتى ولو عشت مائة عام هنا . يتطاير
الثلج فكل شيء أبيض .

غيكيرن : تشعر بالكآبة ، وهذه علامة سوء !

دنتيس : ثلج ، ثلج ، ثلج . . . ما هذا الغم ! يخيل إلي
دائما ان الذئاب لن تلبث أن تظهر في الطرقات .

غيكيرن : أنا اعتدت هذا المناخ في هذه السنوات الأربع
عشرة التي أمضيتها هنا . il n'y a pas d'autre. (٢)
endroit au monde, qui me donne, comme
Petersbourg, le sentiment d'être à la maison.
عندما أشعر بالملل ، أغلق على نفسي الباب ،
وآخذ أتفرّج فيختفي الملل .
اسمع ، أي شيء رائع هذا ! اليوم اشتريته .
(تعزف العلبة)

دنتيس : لا أفهم ولعك بهذه التوافه .

غيكيرن : لا ، هذه ليست توافه . إني أحب الأشياء كما
تحب النساء الخِرَق . لكن ما بك ؟

---

(٢) ليس هناك مكان في العالم كبطرسبرج يشعرني باني في بيتي (بالفرنسية) .

دنتيس : أشعر بالسأم يا أبي .

غيكيرن : لماذا فعلت هذا يا جورج ؟ ما كان أهنأ عيشتنا وأهداها نحن الاثنين وحدنا !

دنتيس : من المضحك التكلم في هذا الأمر . أنت تعرف انه لم يكن بوسعي إلا ان أتزوج كاترينا .

غيكيرن : وهذا ما أريد أن أقوله بالضبط : أهواؤك ستقتلك . لماذا هدمت عشنا ؟ ما ان ظهرت في البيت امرأة ، حتى تولاّني عدم الطمأنينة ، وتملّكني احساس كأنما طُردت من بيتي . لقد خسرتك ، ودخل البيت الحَمْل والضوضاء وصخب الشارع . إني أكره النساء !

دنتيس : (٣)
Ne croyez pas de grâce que j'ai oublié cela...
أعرف هذا حق المعرفة .

غيكيرن : انت ابن عاق ، لقد بدّدت طمأنينتنا .

دنتيس : هذا لا يحتمل ، لقد اختلطت الامور وانتهى كل شيء .

---

(٣) لا تظنن اني نسيت هذا ... (بالفرنسية) .

غيكين : ومم يمكنك أن تشكو منه بعد اليوم ؟ ها انت ستراها ، أليس كذلك ؟ بهذا تكون امنياتك قد تحققت ، أما أمنياتي فلا أحد يفكر فيها . لا ، لو أن أحدا غيري لتخلى عنك من زمن بعيد .

دنتيس : أريد أن أذهب بناتاليا الى باريس .

غيكين : ماذا تقول ؟ يا إلهي ! لم أتوقع هذا مجرد توقع. هل فكرت فيما تقول ؟ أنت اذن لم تكتف بأن حرمتني من الطمأنينة بل تريد تحطيم حياتي نهائيا . سيترك هنا زوجه الحامل ويخطف أختها ! هذا فظيع ! ما الذيستفعله بي ؟وظيفتي ومركزي وكل شيء عليه السلام ! كل شيء سيضيع ! لا ، لا أصدق . يا لها من قسوة باردة ! يا لها من أنانية ! بل يا له من مجنون !

(قرع على الباب)

نعم ، نعم .

الخادم : (**يناوله رسالة**) رسالة الى سعادتكم . (يخرج)

غيكين : دقيقة إن سمحت .

دنتيس : تفضل .

(يقرأ غيكين الرسالة ، الرسالة تقع منه على الأرض .)
ما هذا ؟

غيكين : لقد قلت لك . اقرأ .

دنتيس : (**يقرأ**) هكذا إذن ..... هكذا اذن ...
(توقف)

غيكين : كيف واتته الجرأة ! هل نسي مع من يتعامل ؟
سأقضي عليه ! يقول لي أنا هذا الكلام ؟!
(توقف)
مصيبة . لقد حلت مصيبة . ما الذي فعلته بي؟

دنتيس : انت تلومني على دنيّة فعلها غيري .

غيكين : إنه وحش هائج . لقد أسلمتني الى يد غاوي مبارزة يا جورج .

دنتيس : آه ، لا تتسرع . (**يتراجع الى النافذة**) . الثلج غطى كل شيء ودفن كل شيء ... الأمر لا يتعلق بك . هذا السيد أسلوبه رديء . لا أدري لماذا يتوهم أنه أديب . اسلوبه رديء ، وهذا ما كنت أؤكده دائما .

غيكيرن : لا تراوغ . لماذا دخلت بيته ؟ وأي دور جعلتني أقوم به ؟ لقد سبق وهاجمنا مرة ولا زال محفورا في ذاكرتي حتى الآن وجهه المكشر عن أنيابه .
لماذا تريد أن تغويها ؟

دنتيس : إني أحبها .

غيكيرن : لا تعد هـذا الكلام مرة أخرى . انت لا تحب أحـدا ، أنت تبحث عـن ملذاتك وحسـب !
لا تعترض ! ماذا علي أن أفعـل الآن ؟ أدعـوه للمبارزة ؟ لكن كيف سأرفع نظري بعد هذا الى وجـه القيصر ؟ وحـتى لو تمكنت من قتـله بأعجوبة ... ما العمل ؟
(طرق على الباب . يدخـل الخادم وهـو يقود ستروغـانوف . ستروغـانوف ضرير . يخرج الخـادم) .

ستروغانوف : Mille excuses (٤) ... المعذرة أيها البارون العزيز لتأخري على الغـداء ، لكن اسـمع الى ما يجري ... إني لا أذكر عاصفة كهذه .

---

(٤) المعذرة الف مرة .... (بالفرنسية) .

غيكيرن : أهلاً بك في كل دقيقـة يا كونت ضيفاً عزيزاً في بيتي .

ستروغانوف : (**متلمسا يد دنتيس**) . إنه البارون غيكيرن الابن . أعرف يدك . لكنها كالجليد . هل كدرك شيء ؟

غيكيرن : لقد نزلت بنا مصيبة يا كونت . آزرنا بنصحك. استلمت للتو رسالة فظيعة من شخص يكرهني أنا وجورج .

دنتيس : إني لا أوافق على إفشاء الرسالة .

غيكيرن : آه ، أنت لا تستطيع التدخل في الأمر ، الرسالة موجهـة لي والكونت صـديقي . بوشكين هـو صاحب الرسالة .

ستروغانوف : الكسندر ؟

غيكيرن : أجل . لقد نشر أعداؤنا إشاعة خبيثة ، وهـذا هو سر حملته الشنيعة . لقـد تصور هـذا الغيـور المسعور أن البـارون دنتيس يبـدي اهتماما بزوجته . وليزيـد الطين بلة كتب لي رسالة مليئة بالشتم والسباب .

ستروغانوف : كانت ابنة اختي في طفولتها تعد بأن تصبح حسناء رائعة . لكني لا أستطيع الآن ، مع الأسف ، القول الى أي مدى تحققت الآمال .

غيكين : اطلب المعذرة مقدما عما ستسمعه الآن . **(يقرأ)** « كنت تعمل بأبوة قوادا لابنك ... وكما تفعل عاهرة عجوز كنت تترصد زوجتي عند الزوايا لتحدثها عن حب ابنك غير الشرعي ... » إنه في حقده يلطخ اسم الأم المقدس بالوحل ! لا اعرف من همس في اذن هذا المجنون حتى يزعم اني كنت أحرّض جورج ! ثم يقول في رسالته إن جورج مصاب بمرض مشين ، ويقذفه بشتائم سوقية ويهدده ! لا ، لا أستطيع متابعة القراءة .

ستروغانوف : لا يُصدّق أن يكون كاتب هذا الكلام من النبلاء الروس . آه ، يا له من عصر ! يا له من انفلات ! أيها البارون العزيز ، إنه لا يرمي القفاز في وجهك فقط . إنه حين يكتب ما يكتب لمثل الرأس المتوج فإنه يتحدى المجتمع . إنه كربوناري(٥) . أجل ، يا بارون ، هذا شيء سيء . وإنها لرسالة خطيرة .

---

(٥) هو عضو الجمعية السرية الايطالية المعروفة في أوائل القرن التاسع عشر التي كانت تطالب بتحرير الوطن واقامة نظام دستوري .

غيكيرن : أوعليّ ، أنا ممثل الملك المطلق الصلاحية ، أن أدعوه للمبارزة ؟ إنني ضائع يا كونت . ساعدني بمشورتك . هل علي أن أدعوه ؟

ستروغانوف : آه ، لا .

غيكيرن : إنــه ينقض علي كالوحش المسعور . البــارون دنتيس لم يعطه ذريعة لذلك !

ستروغانوف : بعد هذه الرسالة ، يا بارون ، لم يعد مهما إن كان البارون دنتيس أعطاه ذريعة أو لم يعطه ! إنما ينبغي ألا تنازله . قــد يقال عن البــارون دنتيس إنه أرسل والده . . .

دنتيس : ماذا يمكن أن يقال عني ؟

ستروغانوف : لكنه لن يقال ، كما افترض . (**مخاطبــا غيكيرن**) . يجب أن تكتب إليه أن البارون دنتيس هو الذي يدعوه للمبارزة . أما أنت فأضف شيئاً واحداً عن نفسك وهو أنك ستعرف كيف تجعله يحترم لقبك ومقامك .

دنتيس : وهذا ما سيكون .

غيكيرين : أجل ، هذا ماسيكون . أشكرك شكراً لا حد له
ياكونت . فنحن تمادينا في استغلال اهتمامك .
لكن أرجو أن تقدر فداحة الإهانة التي الحقها بنا .
هيا بنا يا كونت المائدة جاهزة (**يقوده خارجاً**) .
(دنتيس يبقى وحده ، فجأة يلقي العلبة على
الأرض ، فيتردد منها انين . يأخذ مسدسا ،
يطلق النار على لوحة دون تسديد محكم . يدخل
غيكيرن راكضاً) .

غيكيرن : ماذا تفعل ؟ آه ، قلبي !
(يستدير دنتيس ويخرج دون ان يتفوه بكلمة .
ظـلام .
تظهر من وسط الظـلام شمس شتوية قانيـة
عند الأصيل . جدول بين كثبان ثلجية ، جسر
مقنطر ، صمت وخلاء . بعد قليل يصعد غيكيرن
الجسر المقنطر . إنه مهموم ، يبحث عن شيء ما
في البعيد ، يتأهب لمتابعة السير ، في هذه اللحظة
يتناهى صوت طلق ناري ضعيف من مسدس .
يتوقف غيكيرن ، يمسك بالدرابزين . توقف .
بعد قليل تسمع فرقعة خفيفـة في البعيـد .
غيكيرن ينكس رأسه منقبضاً . توقف .
يظهر دنتيس على الجسر . معطفه الملقى على
احد كتفيه ينسحب على الارض . سترته ملوثة

(بالدم والثلج . كم السترة ممزق ، اليد ملفوفة بمنديل عليه دم) .

غيكيرن : أيتها السماء ! يا أيتها السماء أشكرك ! **(يرسم علامة الصليب)** . استند إلي ! هاك منديلا !

دنتيس : لا . **(يمسك بالدرابزين ويبصق دماً)** .

غيكيرن : الصدر ! الصدر ، أهو سليم ؟

دنتيس : لقد سدد بدقة ، لكن الحظ لم يحالفه ...
(يصعد دنزاس إلى الجسر) .

دنزاس : هذه عربتك ؟

غيكيرن : نعم ، نعم .

دنزاس : تكرّم ودعها للمبارز الآخر .

غيكيرن : حاضر ، حاضر .

دنزاس : ايها الحوذي ، أنت الذي في العربة ! لفّ الى تحت الجسر ، هناك طريق . لماذا تحملق فيّ هكذا يا غبي! انزل واتجه الى المرج**(يعدو مبتعداً عن الجسر)** .

فيكـيرن : (بصوت خافت) وذاك ؟

دنتيســس : لن يكتب شيئاً بعد الآن .

ظـلام .

(ينشق الظلام عن نهار شتوي في آخره. نيكيتا في شقة بوشكين يجلس قرب الموقد في المكتب وهو يضع نظارة ويمسك دفتراً) .

نيكيتـا : (يقرأ) . « لا سعادة على هذه الأرض ... » . أجل، لا سعادة في بيتنا ... «إنما توجد السكينة والحرية ... » لا يمكن أن نقول عن غير الموجود إنه موجود ، اكيد . في الليل لا يستطيع الواحد منا أن ينام فأين السكينة ؟ « من زمن فكرت ، أنا العبد المتعب ، في الهرب ... » . أين الهرب؟ ما الذي فكر فيه ؟...

(يدخل بيتكوف) .

«من زمن فكرت، أنا العبد المتعب، في الهرب..» لا أفهم شيئاً .

بيتكوف : « الى بلد العمل والرغبات الطاهرة البعيـد » . عظيم ، يا نيكيتا اندريفتش .

نيكيتـا : من أين تعرف ؟

بيتكوف : البارحة كنت في قصر شيبيلوف عند السيد جوكوفسكي أصلح له منظاراً بصرياً . كان يقرأ هذه الأبيات للضيوف .

نيكيتـا : وماذا ؟

بيتكوف : لاقت استحساناً . قيل إنها عميقة .

نيكيتـا : من حيث العمق عميقة ...

بيتكوف : وهو نفسه اين يوجد الآن ؟

نيكيتـا : ذهب يتنزه مع دنزاس ، الى التلال على ما يبدو.

بيتكوف : لماذا مع دنزاس ؟ العقيد دنزاس تقصد ، أليس كذلك ؟ لكن ما له لم يعد حتى الآن ؟

نيكيتـا : لماذا انت غريب الأطوار اليوم ؟ هل شربت ؟

بيتكوف : أتساءل لأن الوقت تأخر . لقد حان وقت الغداء.

نيكيتـا : لماذا القلق ؟ أم تراه دعاك الى الغداء ؟ الأفضل أن تلقي نظرة على الساعة في المكتب . إنها الآن الواحدة بينما تدق ثلاث عشرة دقة .

بيتكوف : سنلقي نظرة وسنصلح كل جهازها (**يدخل حتى صدر المكتب**) .

(صوت جرس . يدخل جوكوفسكي الى غرفة الاستقبال قادماً من غرفة الطعام) .

نيكيتا : تفضل يا صاحب السعادة .

جوكوفسكي: ما معنى هذا ! ... ذهب يتنزه ؟ ليس موجوداً في البيت ؟

نيكيتا : لا احد في البيت سوى الكسندرا نيقولايفنا . أما الأطفال فذهبوا الى الأميرة برفقة المربية ...

جوكوفسكي: ما هذا الذي يجري ، أسألك .

(تدخل غونتشاروفا) .

غونتشاروفا: أيها الصديق العزيز ! مرحباً يا فاسيلي اندريفتش !

جوكوفسكي: مرحباً يا ألكسندرا نيقولايفنا. اسمحي لي أن أسألك ما هذا الذي يجري ؟ انا لست صبياً يا ألكسندرا نيقولايفنا .

غونتشاروفا: ما الذي أثارك ، يا فاسيلي أندريفتش ؟ إجلس ... كيف صحتك ؟

جوكوفسكي: Ma santé est gatée par les attaques des nerfs ... (٦)

وهذا كله بسببه .

غونتشاروفا: ما الذي حدث ؟

جوكوفسكي: اسمعي من فضلك : البارحة كان يعدو بعربة كمن ركبه عفريت ، صرخ من العربة انه لايستطيع أن يعرّج عليّ وطلب أن أوافيه اليوم. أجّلت كل أعمالي وأتيت ، فإذا به ، كما ترين ، ذهب يتفسح !

غونتشاروفا: سامحه ارجوك ، هناك التباس ما. وحقاً يجب تقبيلك على كل مساعيك بشأن الكسندر .

جوكوفسكي: آه ، لست بحاجة الى اي قبلات... اعذريني، لقد نسيت نفسي ... إني اتبرأ منه الى ابد الآبدين ! ما لي أسعى ، اسمحي لي ان اتساءل. ما إن تصلح أمراً حتى يفسده ! يبدو ان الطبيعة لم تحرمه من نعمة العقل . لكن إذا كان الغباء قد ركبه الآن فيجب ضربه .

---

(٦) صحتي أفسدتها ثورات الأعصاب (بالفرنسية) .

غونتشاروفا: لكن ما الذي حدث يا فاسيلي اندريبفتش ؟

جوكوفسكي: الذي حدث هو ان القيصر غاضب عليه ، هذا ما حدث ! منذ ثلاثة أيام كان القيصر في الحفلة ... وماذا اقول ؟ كنت احترق من الخجل ... تفضلي اسمعي ، كان يقف عند العمود في الفراك والبنطال الأسود ... العفو يا ألكسندرا نيقولايفنا . نيكيتا !

(يدخل نيكيتا) .

ماذا اعطيت سيدك أول أمس ؟

نيكيتا : الفراك .

جوكوفسكي: اللباس الرسمي ، لباس التشريفات كان يجب تعطيه ، لباس التشريفات !

نيكيتا : هو الذي امر بذلك ، إنه لا يحب لباس التشريفات .

جوكوفسكي: أقليلة هي الأشياء التي لا يحبها . وإذا أمرك بإعطائه سترته البيتية ؟ هذا شغلك ، يا نيكيتا . هيا اغرب من وجهي ، اغرب .

نيكيتا : يا للمصيبة ... (**يخرج**) .

جوكوفسكي : فضيحة . القيصر لا يحب الفراك ، القيصر لا يطيق رؤية الفراك. وهو ليس له الحق في لبسه. لباس التشريفات منح له على وظيفته ! هـذا تصرف غير كريم ، غير لائق ! ولو توقف الأمر عند الفراك ! لقد أخذ يتحدث عن الاستقالة من جديد. وجد الوقت المناسب ! انه لا يعمل شيئاً الآن يا الكسندرا نيقولايفنا ! أين « التاريخ » الذي منانا به ؟ كمـا عادوا الى الحديث عـن اشعار كتبها اخيرا ! هل تذكرين ما حصل ؟.. ومحبوه ما اكثرهم ! صدقيني سيقيمون الدنيا !

غونتشاروفا : فظيع ما تقوله يا فاسيلي اندريفتش ! لكنه مضطرب ومريض بشكل في المدة الأخـيرة ... أحيانا تغمض عينيك فيبدو لك اننا نندفع نحو الهاوية ... لقد دبت البلبلة والاضطراب في كل ما حولنا ...

جوكوفسكي : يجب الخروج من هذا الوضع ، فهذا طيش ورعونة . القيصر ذو قلب من أطيب القلوب ، لكن لا تدخلوه في تجربة ! اسمعيني يا الكسندرا نيقولايفنا ! قولي لناتاليا نيقولايفنا : اذا صـد القيصر يستحيل اصلاح الامر بعد ذلك !

غونتشاروفا : كيف نرد لك جمائلك يا فاسيلي أندرييفتش؟

جوكوفسكي : ما هذا الكلام ! .. أنا لست مربيته ... اذا
اردت أن تسيء فأسيء ، أسيء فلن تسيء الا
لنفسك ! .. الوداع يا الكسندرا نيقولايفنا .

غونتشاروفا : آه لا ، لا .. كيف تفعل هذا ؟... ابق هنا
انتظر ، سيصل حالا ، سيصل حالا ...

جوكوفسكي : لا انوي حتى رؤيته ، ثم لا وقت لدي .

غونتشاروفا : استبدل غضبك بالحلم ، سيصلح أمره .

جوكوفسكي : آه ، كفى يا الكسندرا نيقولايفنا .
En cette dernière chose je ne compte guère (٧)

(يتجه الى الباب ، يرى على الباب رزمة كتب)
لم أر هذا من قبل . الطبعة الجديدة من
« أونيفين » ؟ آه ، حسن !

غونتشاروفا : اليوم أتوا بها من المطبعة .

جوكوفسكي : آه ، جيد . جيد جدا .

غونتشاروفا : لقد كشفت البخت اليوم بهذا الكتاب

---

٧ ــ لم أعد آمل في هذا (بالفرنسية) .

جوكوفسكي : وكيف يكشفون البخت بالكتاب ؟ اكشفي لي بختي .

غونتشاروفا : اذكر رقم صفحة ما .

جوكوفسكي : مائة والربع والربعون .

غونتشاروفا : والبيت ؟

جوكوفسكي : فليكن الخامس عشر .

(يظهر بيتكوف قرب الموقد في المكتب) .

غونتشاروفا : **(يقرأ)** . « عرفتُ نداء رغبات اخرى . . »

جوكوفسكي : هذا بالنسبة لي ؟ صحيح .

غونتشاروفا : « وعرفت حزنا جديدا . . . »

جوكوفسكي : صحيح ، صحيح .

غونتشاروفا : « . . . . ليس لي في الاولى أمل . . . »

بيتكوف : (همسا) ، « . . . أما الحزن القديم فواسفي عليه

(يختفي في المكتب) .

جوكوفسكي : آ ؟

غونتشاروفا : « ... أما الحزن القديم فوأسفي عليه .. »

جوكوفسكي : آه : آه ... كيف يمتح الفكرة من داخله ! وما ايسر ان يجد الكلمة المناسبة المجسدة لفكرته ! مجنح ! مجنح ! يا للدم الجنوبي ! ... الغبي العاق ... يجب سوطه ! ضربه !...

(عتمة الشفق تكتنف الشقة) .

غونتشاروفا : والآن دوري .

جوكوفسكي : الصفحة ؟

غونتشاروفا : مائة وتسع وثلاثون ..

جوكوفسكي : والبيت ؟

غونتشاروفا : الخامس عشر ايضا .

جوكوفسكي : (يقرأ) . « لطيف ان تغضب بأهجية سليطة عدواً غافلاً ... » .

(بوشكينا تقف في الباب) .

لا ، هناك شيء ما غير صحيح ... « لطيف أن تغضب بأهجية سليطة عدواً غافلاً .. والالطف أن تعد له ميتة شريفة ... » لا ، لم تصيبي يا

الكسندرا نيقولايفنا . آ ، ناتاليا نيقولايفنا ،
العفو نضج ونصخب ونقرأ الشعر كما ترين ..

بوشكينا : نهارك سعيد يا فاسيلي اندريفتش ، مسرورة
برؤيتك . اقرؤوا ما طاب لكم ، فأنا لا استمع
الى الشعر أبدآ ، اللهم الا شعرك ...

جوكوفسكي : اتقي الله يا ناتاليا نيقولايفنا !

بوشكينا : الا شعرك ، يا فاسيلي اندريفتش
Votre dernière ballade m'a fait un plaisir infini. (٨)

جوكوفسكي : لم اسمع شيئا ؟ لم اسمع شيئا !
(تدق الساعة في المكتب) .
آه ، يا الهي ! علي أن أذهب الى ابن القيصر !.
Au revoir, chère madame, je m'aperçois, que je suis
trop bavard. (٩)

بوشكينا : تناول الغداء معنا .

---

٨ ــ قصيدتك الاخيرة امتعتني متعة لاحدود لها .. (بالفرنسية)

(٩) الى اللقاء يا سيدتي العزيزة .... الاحظ أني ثرثار أكثر مما ينبغي.

جوكوفسكي : اشكرك ، لا استطيع بأي شكل من Au revoir madamoiselle قولي له من فضلك! أرجو الا يخرج احد لوداعي! (**يخرج**).

(العتمة تطبق على الشقة)

غونتشاروفا : تاشا ، لقد جاء فاسيلي اندرييفتش بشأن الورطة التي حدثت في الحفلة بسبب الفراك .

بوشكينا : كم هذا ممل ! لقد حذّرت .

غونتشاروفا : ماذا دهاك ؟

بوشكينا : دعيني .

غونتشاروفا : لا استطيع فهمك . الا ترين حقاً أن سبب المكاره كلها انه غير سعيد ؟ بينما أنت تنظرين بلا مبالاة شديدة الى ما قد يكون سبب مصيبة تحل بالأسرة .

بوشكينا : ولمَ لمْ يسألني احد مرة إن كنت أنا سعيدة أم لا ؟ كلكم لا تعرفون إلا ان تطالبوني . لكن هل أشفق عليّ واحد منكم مرة ؟ ما الذي تريدونه مني أيضا ؟ لقد أنجبت له اطفالا وطول

حياتي أسمع الشعر ولا شيء غير الشعر ...
ألا فلتقرؤوا الشعر !
جوكوفسكي سعيد ، ونيكيتا سعيد ، وانت سعيدة ... واتركوني وشأني .

غونتشاروفا : نفسك غير مستعدة للخير ، نعم ، ليست مستعدة للخير . هذا واضح ، انك لا تحبينه .

بوشكينا : لا أستطيع ان أعطيه من الحب أكثر مما أعطيت.

غونتشاروفا : وا أسفاه ، أعرف أفكارك . وأشعر بالألم على مصير الاسرة .

بوشكينا : اعرفي ما شئت . (**توقف**) اعرفي أنه كان من المفروض أن التقي به اليوم ، وأنه لم يحضر ، واني أشعر بالملل .

غونتشاروفا : هذا هو الطريق الذي قررت ان تسلكيه إذن!

بوشكينا : نعم ، وما الذي يقلقك ؟ أتراه وحيدا؟ أنت تبدين له الاهتمام والرعاية وتغازلينه وأنا أغض الطرف ...

غونتشاروفا : لقد جننت حقاً ! لا تتجرئي على قول هذا لي ، لا تتجرئي ، لا تتجرئي ، إني أشفق عليه فقد تخلى الجميع عنه .

بوشكينا : انظري في عيني ...

نيكيتـا : (**في الباب**) المقيد يرجو ان تستقبليه .

بوشكينا : اعتذر إليه ، لا أستطيع استقباله .

دنزاس : (**يدخل وهو ما زال في معطفه**) ارجـو قبـول اعتذاري . يجب أن تستقبليني . لقـد نقلت الكسندر سيرغييفتش الى هنا . إنه جريح . (**مخاطبا نيكيتا**) لماذا تقف هكذا ؟ ساعد في حمله الى الداخل ! إنما بحذر ، لا تهزوه !

نيكيتـا : يا ملكـة السـماء ! مصيبـة ، يا الكسـندرا نيقولايفنا !

دنزاس : لا تصرخ . لا تهزوه !

(**يخرج نيكيتا راكضاً**)

مُروا بضوء .

(**بوشكينا تجلس دون حراك**) .

غونتشاروفا : ضوء ! ضوء !

(**يظهر بينكوف في باب المكتب وبيده شمعدان مضاء**) .

دنزاس : هيا بسرعة ، ساعدهم في حمله .

(بيتكوف يخرج مسرعاً وهو حامل الشمعدان . مـن الأبواب الداخليـة تظهر الوصيفة تحمـل شمعة . يعبر بيتكوف الى المكتب قادماً مـن غرفة الانتظار وبيده الشمعدان . وفي إثره تدخل مجموعة اشخاص تحمـل شخصاً متجهين الى صدر المكتب ، تلفّهم عتمـة الشفق . دنزاس يغلق على الفور باب المكتب) .

بوشكينا : بوشكين ، ما بك ؟

دنزاس : لا ، لا ، لا تدخلي ارجوك . لم يأذن بإدخال أحد إلا بعد أن تضمّد جراحه . ولا تصرخي ، فهذا يزعجه . **(مخاطباً غونتشاروفا)** . خذيها الى غرفتها ، آمرك بهذا .

بوشكينا : **(تخر على ركبتيها امام دنزاس)** . ليس ذنبي ! اقسم لك ، ليس ذنبي !

دنزاس : أخفضي صوتك ، أخفضيه . خذاها !

(تمسـك غونتشاروفا والوصيفـة ببـوشكينا وتمضيان بهـا الى الغرف الداخلية . بيتكوف يخرج مسرعاً من المكتب ويغلق الباب وراءه) .

(يخرج نقوداً) طِر الى شارع مليونايا ، لا تساوم الحوذي ، الى الدكتور آرينت ، تعرفه ؟ احضره الى هنا على الفور . وإذا لم تجده ، ابحث عن دكتور أي دكتور وأحضره .

نيكيتا : سمعاً . مفهوم ، يا صاحب السعادة .

(تسمع في الخارج موسيقا عسكرية) .

(يهرع الى النافذة) . آه ، يا الهي ! الحرس قادم . لن يدعوني أمرّ . سأذهب من الباب الخلفي ، عبر الفناء .

(يهم بالخروج راكضا) .

(تظهر غونتشاروفا) .

غونتشاروفا : دنتيس ، أليس كذلك ؟ قل الحقيقة ، ماالذي حدث له ؟

دنزاس : أصيب بجرح قاتل .

ظــــلام

الســـــتار

الفصـــل الرابــع

ليل . غرفة الاستقبال في شقة بوشكين . المرايا مغطاة. صندوق ، قش ، ديوان صغير . دنزاس نائم على الديوان بملابسه . الأبواب كلها مغلقة . بين الحين والآخر يتناهى من الخارج هديرُ جمهورٍ مكبوت" . يظهر جوكوفسكي خارجاً من المكتب وهو يحمل شمعة وختماً وشمعا احمر . يضع الشمعة على البيانو ويدنو من النافذة ويحدّق في الخارج .

جوكوفسكي : أيْ . يا . يا ...

دنزاس : آ ؟ (**يستوي في مكانه**) . حلمت اني في المحبس. طبيعي ، هذا ما سيكون .

جوكوفسكي : سأقدم التماسا الى القيصر بشأنك ياكونستنتين كارلوفتش .

دنزاس : أشكرك ، إنما أرجو ألا تكلّف نفسك . سنتحمل مسؤوليتنا حسب القانون . (**يتلمس**

الكتفيّات) . الوداع . وأسـفاه على الكتائب وجبـال القفقاس !

جوكوفسكي : ألا ألقيت نظرة على ما يجري في الخارج . الجمهور يزداد ويزداد . مـن كان بوسعه أن يتوقع هـذا !

دنزاس : لقد نظرت بما فيه الكفاية .

(تدخـل بوشكينا من الباب المؤدي الى الغـرف الداخلية ومعها وصيفتها) .

الوصيفة : سيدتي ، اذهبي الى غرفتك من فضلك . من فضلك يا سيدتي .

بوشكينا : (**مخاطبة الوصيفة**) . إليك عني !

(الوصيفة تبتعد عنها) .

(**عند باب المكتب**) . بوشكين . يمكن ؟

دنزاس : عادَتْ مرّة أخرى !

جوكوفسكي : (**يســدّ الطريق على بوشكينا**) . ناتاليـا نيقولايفنا ثوبي الى رشدك .

بوشكينا : يا لها من سخافات ! الجرح غير خطـير ... سوف يعيش . يلزمه بعض الأفيون كي نوقف

آلامه ... وعلى الفور ، على الفور ستذهب
الاسرة كلها الى بولوتنياني زافود ... ما لهم
لم ينتهوا بعد من استعداداتهم ... « لطيف
أن تغضب بأهجية سليطة عدواً غافلا ... » .
لطيف ... لطيف ... في صمت ... نسيتُ ،
نسيت كل شيء ... بوشكين مَرْ بأن يدعني
أدخل إليك .

جوكوفسكي : (**متطلعاً نحو باب غرفة الطعام**) . فلاديمير
ايفانوفتش ... الدكتور دال ...
(يدخـــل دال) .
أنجدنا يا دكتور .

دال : ناتاليا نيقولايفنا ، ليس لك هنا ما تفعلينه ...
(**يأخذ جوقلة من على البيانو ويسكب منها بضع قطرات في كأس**) . اشربي من فضلك .
(بوشكينا تبعد الكأس) .
لا يصح هذا ، ستشعرين بتحسن .

بوشكينا : إنهم لا يصغون إلي . أريد أن اكلمك .

دال : تكلمي .

بوشكينا : هل يتألم ؟

دال : لا ، لم يعد يتألم .

بوشكينا : لا تتجرا على إخافتي ... هذا عمل منحط ، انت طبيب ومن واجبك المساعدة . لكنك انت لست طبيبا بل دجّال ، تؤلّف قصصا وأنا لست بحاجة الى قصص ، أنقذوا الرجل . (**مخاطبة دنزاس**) . انت الذي حملته الى هنا بنفسك ...

دال : فلنخرج من هنا ، سأساعدك .
(تتأبط الوصيفة ذراع بوشكينا) .

بوشكينا : لطيف أن تغضب بأهجية سليطة ... » . نسيت كل شيء ... لا أصدق الكسندرينا .
(دال والوصيفة يخرجان ببوشكينا) .

دنزاس : ما هذا الذي تقوله لي ؟!

جوكوفسكي : كونستنتين كارلوفتش ، أويمكنك ان تعير هذا اهتماما ! امراة مفجوعة برجلها ... شينهشونها الآن ، سينهشونها ...

دنزاس : ما كان له أن يفلت مني . صدقني ، كان بودّي أن أدعوه للمبارزة . لكنه لم يسمح لي . وكيف ادعوه وأنا غداً سأكون في الحبس .

جوكوفسكي : ما هذا الكلام ! أتريد مضاعفة المصيبة ! لقد انتهى كل شيء يا كونستنتين كارلوفتش .

(من خلف الأبواب المغلقة يتناهى خافتاً صوت جوقة رخيم . دنزاس يخرج من الباب المؤدي الى غرفة الطعام ويغلقه وراءه . من الغرف الداخلية تظهر غونتشاروفا ، تدنو من النافذة) .

غونتشاروفا : وهو لا يرى هذا .

جوكوفسكي : بل يراه ، يا الكسندرا نيقولايفنا .

غونتشاروفا : لن أعود إليها بعد اليوم يا فاسيلي انيدرييفتش . سأرتدي ملابسي حالاً واخرج . إني في حالة من الضيق وانقباض النفس ، ولا استطيع البقاء هنا بعد اليوم .

جوكوفسكي : لا تنقادي الى هذا الصوت ، إنه صوت مريب ، يا الكسندرا نيقولايفنا . وهل يمكنك حقا أن تتخلي عنها ؟ يجب أن تشفقي عليها ، ألسنة الناس ستتناهشها الآن .

غونتشاروفا : مالك انت أيضا تعذبني ؟

جوكوفسكي : أنا آمرك ، اذهبي ، اذهبي الى هناك .

(تخرج غونتشاروفا) .

(**يصغي الى صوت الجوقة**) . ما الذي فعلت ... بلى ، تراب ورماد ... (**يجلس ، يخرج مفكرة ، يتناول يراعا من على البيانو ، يسجل شيئا ما**) ... لم يتألق الذهن المتوقد ... (**ينظم شعرا ، يتمتم**) . في هذه اللحظة كأنما مثلث أمامي رؤيا ... وكان بودي أن أسالك ما ترى ...

(يدخل دوبليت دون صوت) .

دوبيلت : مرحبا يا فاسيلي اندريفتش .

جوكوفسكي : مرحبا يا سيدي الجنرال .

دوبيلت : تعتزم ختم المكتب ؟

جوكوفسكي : نعم .

دوبيلت : أرجوك أن تتريث قليلا . سأدخل المكتب ثم نضع ختم قسم البوليس السياسي أيضا .

جوكوفسكي : ماذا تقول ياجنرال ؟ لقد شاء جلالته أن يلقي على عاتقي مهمة ختم أوراقه وتنظيمها ... لا أفهم ما تقول . يجب أن انظم أوراقه وحدي ... العفو ، ما الحاجة الى ختم آخر ؟

دوبيلت : أيسوؤك يا فاسيلي أندرييفتش أن يوضع ختم البوليس السياسي الى جانب ختمك ؟

جوكوفسكي : العفو ، لكن ...

دوبيلت : الأوراق يجب أن ترفع الى الكونت بينكيندورف ليقرأها .

جوكوفسكي : كيف ؟ لكن هناك رسائل شخصية . العفو ، إنما يمكن أن تلصق بي تهمة الوشاية . وأنتم بهذا تطعنونني في الشيء الوحيد الغالي الذي أملكه وهو اسمي وسمعتي . سأرفع الأمر الى مولانا الامبراطور .

دوبيلت : أوتفترض أن قسم البوليس السياسي يمكن أن يتصرف خلافاً لإرادة مولانا الامبراطور ؟ أم تفترض ان بإمكانهم تلقيبك بالواشي ؟ آه ، فاسيلي اندرييفتش ... هل يمكنك حقاً أن تعتقد أن الحكومة يمكن أن تتخذ إجراء كهذا للإضرار بأحد ؟ لا ، ليس بقصد الإضرار يتخذ ما يتخذ من إجراءات يا فاسيلي اندرييفتش . لن نضيع وقتنا .

جوكوفسكي : سمعا وطاعة .

(يدخل دوبيلت الى المكتب حاملاً شمعداناً . ثم يعود ويقدم الشمع الأحمر الى جوكوفسكي . جوكوفسكي يضع ختمه . من الشارع يسمع رنين بلور وضجة) .

دوبيلت : **(بصوت خافت)** ، إي – ي .

(ينزاح ستار الأبواب الداخلية ويظهر بيتكوف) .

من انت أيها العزيز ؟

بيتكوف : أنا الساعاتي يا صاحب السعادة .

دوبيلت : أسرع ياصديقي الى الخارج واستعلم عما جرى.

بيتكوف : امرك . **(يختفي)** .

(يشرع دوبيلت في ختم الباب) .

جوكوفسكي : من كان بوسعه أن يتوقع أن يثير موتــه كل هذه الجماهير ... إنه حزن شعبي شامل ... اظن ان حوالي عشرة آلاف حضروا اليوم الى هنـــا .

دوبيلت : حسب الاخبـاريات الواردة من الأقسام وفــد اليوم الى هنا سبعة واربعون .

(توقف) .

بيتكوف : (**يدخل**) . هنـــاك ، يا صاحـــب السعادة ، مجهولان هتفا بأن أطباء أجانب قتلوا عن قصـــد السيد بوشكين ، وفي هـــذا الوقت كان الدكتور خارجاً فرماه أحدهم بقرميدة ، وحطم الفانوس .

دوبيلت : ها ــ ها .

(يختفي بيتكوف) .

آه ، الدهماء ، الدهماء . .

(يرتفع صوت الجوقة خلف الأبواب فجأة) .

(عند الأبواب المؤدية إلى الغرف الداخلية) .

تفضلوا أيها السادة .

(تنفتح الأبواب الداخلية ، يدخل إلى غرفـــة الاستقبال الواحد تلو الآخر عشرة مـــن ضباط البوليس السياسي وهـــم يرتـــدون معاطفـــهم ويمسكون قبعاتهم بأيديهم) .

تفضلوا أيهـــا الســادة ، انقلوا الجثمان . النقيب راكييف تفضل تولّ عملية النقل . وأنت أيهـــا العقيد ارجوك البقاء هنا . خذ كل الإجراءات كي تقدم للسيدة بوشكينا اي مساعدة تحتاجها حالاً ودون ابطـــاء .

(يأخـــذ الضباط في الخروج إثـــر راكييف الـــى

غرفة الطعام ما عدا واحداً يعـود إلـى الغـرف الداخلية) .

وانت يا فاسيلي اندرييفتش ستبقى مع ناتاليا نيقولايفنا ، أليس كذلك ؟ المفجوعـة المعذبة في حاجة إلى من يعزيها ..

جوكوفسكي : لا اريد أن أشارك في حمل جثمانه .

(دوبيلت وحده . يسوي كتفيته وحمائله ، يتجه إلى باب غرفة الطعام) .

عتمـة

الوقت ليلاً في مويكا ، ضوء شحيح ومضطرب تلقيه مصابيح الشارع . خلف ستائر النوافذ تبدو شقة بوشكين مضاءة في الداخل . بوابة . عند البوابة هدوء نسبي ، أما حولها فالجمهور في صخب وهياج . الشرطة تحاول صد الجمهور وكبحه ، بغتة تظهر مجموعة من الطلاب وتحاول الوصول إلى البوابة) .

شرطي ، رئيس قسم الحي : ممنوع ، أيها السادة الطلاب ، الى الوراء ! مغلق .

(هتافات تصدر عن مجموعة الطلاب : « ما هذا ؟ لماذا لا يستطيع الروس أن يحنو رؤوسهم امـام رفات شاعرهم ؟ ») .

الى الوراء ! إيفانكو ، ردّهم ! غير مسموح ، غير مسموح بإدخال الطلاب .

(بغتة يبرز واحد من بين الطلاب ويتسلق عمود المصباح) .

الطالب (ملوحاً بقبعته) : اسمعوا أيها المواطنون ! **(يخرج ورقة ، يلقي عليها نظرة)** . « لم تطلق نفس الشاعر عارَ الإهانات الصغيرة . . .

(هدير الجمهور يخفت . الشرطة تتجمد من الدهشة) . « لقد ثار ضد آراء المجتمع الراقي . . . ووحده ، كما في السابق ، قُتل » .

(أصوات من بين الطلاب) « انزعوا قبعاتكم ! ») .

الشرطي رئيس القسم : ما هذا الذي تفعله يا سيد !

الطالب : « قتل . ما نفع النحيب والمديح والدموع . . . والتمتمات البائسة . . . » .

(شرطي يطلق صفرة) .

الشرطي رئيس القسم : انزلوه عن العمود !

(ارتباك في وسط الجمهور . صوت نسائي يصرخ « قتلوه ! ») .

الطالب : « ألستم أنتم من لاحقه واضطهده طويلاً أول الأمر ... » (صفير . الشرطة تندفع باتجاه المصباح. الجمهور يهدر. صراخ « اهرب ! »).

الحارس : ما لكم تنظرون هكذا ! امسكوه !

الطالب : « انطفأ ، كما المشعل ، العبقري الخارق ... »

(كلمات الطالب تغرق في هدير الجمهور) .

« ... بيد باردة وجه إليه قاتله الطعنة ... قضي الأمر » . **(يختفي)** .

(صراخ : « امسكوه ! » . يندفع رجال الشرطة في إثر الطالب . يأخذ النور يخبو في نوافذ شقة بوشكين. في هذا الوقت يتسلق ضابط في لباسه العسكري عمود مصباح آخر) .

الضابط : أيها المواطنون ! ما سمعناه الآن هو الحقيقة. لقد قتل بوشكين عن سابق قصد وتصميم . وهذه الجريمة الفظيعة تلحق الإهانة بالشعب كله ...

الشرطي رئيس القسم : إخرس !

الضابط : لقد صرع مواطن عظيم ، وما كان هذا ليتم إلا لأن في البلد سلطة غير محدودة بين أيدي أشخاص

غير جديرين ، يعاملون الشعب كالعبيد . . .

(الشرطة تطلق صفيراً حاداً في كل الاتجاه ، يظهر راكييف في البوابة) .

راكييف : إي ، إي اعتقلوهم !

(يظهر رجال البوليس السياسي . الضابط يختفي . في الوقت نفسه يسمع خبب خيول . صراخ من بين الجمهور : « سيدوسوننا ! » . تنشق صفوف الجمهور ، لكن هديره لا زال متصلاً) .

لاحقوهم !

(خلت الفسحة أمام البوابة . انطفأ النور تماماً في شقة بوشكين ، لكنه أخذ يضيء البوابة . هدوء . وفي الحال ينساب من البوابة غناء هادىء حزين . تظهر طلائع ضباط البوليس السياسي ، تم الشموع الأولى .

ظلام .

الغناء يتحول شيئاً فشيئاً الى صفير عاصفة ثلجية . ليل . محطة بريد نائية ومنعزلة . شمعة مضاءة . نار في الموقد . زوجة ناظر المحطة الصقت وجهها بالنافذة الصغيرة . وتجهد لأن تتبين شيئاً ما في العاصفة . خلف النافذة يلوح ضوء مصابيح ، تسمع اصوات خافتة . يدخل ناظر المحطة

أولاً وبيده فانوس ويقف داعياً راكييف والكسندر تورغنيف للدخول امامه . زوجة ناظر المحطة تنحني لهما محيية) .

راكييف : هل من احد في المحطة ؟

(تورغنيف يندفع نحو الموقد ، يُدفىء يديه) .

ناظر المحطة : لا احد هنا ، يا صاحب السعادة ، لا أحد .

راكييف : ومن هــذه ؟

ناظر المحطة : زوجتي ، قرينتي يا صاحب السعادة .

تورغنيف : ما هذا ، شاي ؟ صبي لي كأساً بحق الله .

راكييف : وكأساً لي ، إنما بسرعة . بعد ساعة تكون الأحصنة جاهزة ، ثلاثة احصنة للعربة المسقوفة واثنان لهذا . . .

(تورغنيف يشرب الشاي . الشاي يلذعه) .

ناظر المحطة : لكن الترويكا(١) ، يا صاحب . . .

---

١ – نوع من العربات تجره ثلاثة خيول .

راكيييف : بعد ساعة تكون الترويكا جاهزة . (**يتناول كاس** الشاي ، يشرب) .

ناظر المحطة : امرك ، أمرك .

راكيييف : سنستلقي ساعة . بعد ساعة بالضبط ... هل عندك ساعة ؟ توقظنا بعد ساعة . الكسندر ايفانوفتش ، هلا غفونا ساعة ؟

تورغنيف : بكل طيبة خاطر فانا لا احس بيدي ولا رجلي .

راكيييف : اذا رأيت أي عابر سبيل بالقرب ، ايقظنا فوراً واعلم رجال البوليس .

ناظر المحطة : مفهوم ، مفهوم ، أمرك .

راكيييف : وأنت ، يا اخت ، لا داعي للتطلع من النافذة ، فليس هناك ما يثير الفضول .

ناظر المحطة : لا يوجد شيء ، لا يوجد شيء اطلاقا ، أمرك ، تفضلا الى غرفة الضيوف .

(تفتح الناظرة باباً ، تدخل غرفة اخرى ، تشعل هناك شمعة وتعود . راكيييف يمضي الى الغرفة يتبعه تورغنيف) .

تورغنيف : يا الهـي !

(ينغلق الباب وراء تورغنيف وراكيف) .

زوجة ناظر المحطة : من ذاك الذي ...

ناظر المحطة : اذا تطلعت الى الخارج سأجلـدك بالرسن . ستجلبين لنا بهذا المصائب . يا لها من فرصة مناسبة ! أكان يجب عليهم أن يأتوا مـن هذا الطريق ... اذا تطلعت سوف .. اياك والمزاح معهـم !

زوجة ناظر المحطة : لن أقول شيئا مهما رأيت ...

(يخرج ناظر المحطة . زوجته تنكب لاحـال على النافذة مستطلعة . الباب الخارجي يفتـح ، يتطلع بونومريوف بحذر ثم يدخل) .

بونومريوف : نامـا ؟

زوجة ناظر المحطة : ناما .

بونومريوف : هاتي بخمسة كوبيكات ، عظامي تجمدت .

(تسكب له زوجة ناظر المحطة كأس فودكا، وتقدم له خياراً) .

(**يشرب ، يهز ، يفرك يـديه**) . هـاتي كأسـا
أخرى .

زوجة ناظر المحطة : (**وهي تسكب له**) . لماذا تفعل هكذا ؟
لو تجلس وتتدفأ .

بونومريوف : وهل يستطيع الواحد منا أن يتدفأ هنا ؟

زوجة ناظر المحطة : الى أين أنتم مسافرون ؟

بونومريوف : آه منكم يا جنس الحريم ، مثل أمكم حواء . .
(**يشـرب ، يعطـي زوجة الناظر نقـودا** ...
ويخـرج) .
(تضع زوجة ناظر المحطة على رأسها منديلاً بسرعة
وتهم بالخروج حين يظهر بيتكوف في الباب . انه
يلبس فروة ويعصب أذنيه تحت القبعة بمنديل).

بيتكوف : تماما ؟ (**يتثاوب ويدنو من النافذة**) .

زوجة ناظر المحطة : بردا ؟

بيتكوف : ما لك تسألين ، انظـري من النافـذة بنفسك
(**يجلس ، يفك المنديل**) . أنت زوجة الناظر ؟
واضح أنك هي . ما اسمك ؟

زوجة ناظر المحطة : آنا بيتروفنا .

بيتكوف : هاتي قنينة فودكا ، يا بيتروفنا .

(تقدم له زوجة ناظر المحطة قنينة وخبزاً وخياراً) .

(**يشرب بنهم ، يخلع فروته**) . ما هذا آ ؟ يا أم الله القدوسة ... خمسة وخمسون فرسخا ..

ربطني .

زوجة ناظر المحطة : من الذي ربطك ؟

بيتكوف : القدر .. (**يشرب**) . فروة لا تدفىء ، هل هذا معقول ؟

زوجة ناظر المحطة : لن اقول لاحد شيئا ، فليبس لساني لن اقول لأحد شيئاً ، من هذا الذي تنقلونه ؟

بيتكوف : ليس شأنك ، بل شأن الحكومة .

زوجة ناظر المحطة : وكيف هذا ، لا ترتاحون في أي مكان ! ستتجمدون من البرد .

بيتكوف : لن يحزن علينا أحد ، أما هو فلا يشعر بالبرد الآن (**يقترب على اطراف اصابعه من الباب**

الداخلي ويصيخ السمع) . يشخران ، وعبثا
يفعلان ، يجب ايقاظهما فورا !.

زوجة ناظر المحطة : الى اين تنقلونه ؟

بيتكوف : لا ، لا ، لا ... كفاك فضولا . هذا ، يا خالة ، ليس شغلك ، هذا شغلنا . **(توقف)** . الى الجبال المقدسة(٢) ! هنـاك يدفنونه ، وبعدها ترتاح نفسي أخيراً . سآخذ إجازة . هو يذهب الى مثواه البعيد ، وأنا أذهب في إجازة . آه ، كم حفظت من الأشعار عليها اللعنة .

زوجة ناظر المحطة : مالك تعذبني بقـولك أشـياء كلهـا غير مفهومة ؟

بيتكوف : **(يشرب ، يثمل)** اجل ، كان يكتب شعراً ... وبسبب أشعاره لم يعرف أحد الهدوءوالطمأنينة ... لا هو ولا السلطة ولا أنا العبد إليه تعالى ستيبان إيلتش ... فأنا كنت أتبعه في كل مكان ... لكن لم يكن له حظ . كيفما كان يكتب كان لا يصيب الهدف ، ليست الأشعار المطلوبة ...

---

(٢) حيث يوجد دير سفيتغورسك .

زوجة ناظر المحطة : معقول ان يقتلوه لهذا ؟

بيتكوف : إي . إي ... ما نفع الكلام مع امرأة ؟ آه ، حمقاء !

زوجة ناظر المحطة : ولماذا السب والشتم ؟

بيتكوف : وكيف لا أشتمك ... على اي حال قد لا تكونين حمقاء ... غير اني لم أكنّ له شراً ، والله . كان إنسانا كبقية الناس . المصيبة الوحيدة هذه الأشعار ... وانا في إثره حيثما ذهب، حتى إني كنت الاحقه على العربات . يكتري عربة فأنطّ الى أخرى ؛ وهو لم يرتب أبداً في شيء . شيء مضحك !

زوجة ناظر المحطة : لكنه مات الآن ، فلماذا أنت إثره ؟

بيتكوف : تحسّباً . أما إنه مات ففعلا مات ، لكن الا ترين: الليل ، العاصفة ، البلبلة ... ونحن نقطع خمسين فرسخاً بعد خمسين فرسخاً ... إليك ما معنى « مات » .. سندفنه ، هذا أكيد، لكن هل سيجيء هذا بفائدة ... فقد لا يعود الهدوء من جديد ... هذا ما أخشاه ...

زوجة ناظر المحطة : العله غول ذئبي ؟(٣)

بيتكوف : ربما . (**توقف**) ما هـذا الذي يحكني ؟ . . .
صبتي ايضا ، صبتي . . . ما هذا الذي يعتصرني؟
نعم ، مات ميتة صعبة . آه ، كم تعذب . لقد
أطلق عليه رصاصة انفرزت في بطنه . . .

زوجة ناظر المحطة : أي ـ يا ـ يي . . .

بيتكوف : كان يعضّ أصابعه كي لا يصرخ ، وكي لا تسمع
امراته . ثم سكن (**توقف**) . لكن والله العظيم
لا دخل لي في هذا . أنا انسان مأمور ، غارق
في التفاهة . . . لم يكونوا يتركونه وحده ابدا ،
انى ذهب أكون وراءه ، لا أبتعد عنه خطوة . . .
أبداً . أما ذلك اليوم ، يوم الاربعاء فقد أرسلوني
الى مكان آخر . . . توجست شراً ، أبقوه وحده
كي . . . أذكياء . يعرفون أنه سيأتي بنفسه الى
حيث يجب . الآن ساعته قد أتت . وهو اتجه
مباشرة الى زلتشكا . وهناك كانوا في انتظاره .
(**توقف**) لم أكن موجوداً هناك (**توقف**) . ما عاد
الآن مجال للتردد على بيته . الشقة هناك خالية
الآن ، فارغة تماما .

---

(٣) وهو ساحر يجول ليلا متنكرا بهيئة ذئب .

زوجة ناظر المحطة : وهذا السيد الذي معك ؟

بيتكوف : إنه السيد تورغنيف ، الكسندر ايفانوفتش ـ المرافق . لم يسمحوا لأحد . وحده ، السيد تورغنيف ، سُمح له .

زوجة ناظر المحطة : وذاك العجوز ؟

بيتكوف : خادمه .

زوجة ناظر المحطة : لماذا لا يتدفأ ؟

بيتكوف : لا يرغب . حاولنا معه ، حاولنا ، ثم تركناه . يحرس ولا يريد أن يترك . سأحمل إليه شيئاما **(ينهض)** . يا لها من عاصفة ... أفضل أشعاره كانت :

« العاصفة تغطي السماء بالقتامة

تلف رقع الثلج في دوّامة

كالوحش حينا تعوي

وحيناً كالطفل تبكي ... » .

أتسمعين ، فعلا كالطفل . ما حساب القنينة ؟

زوجة ناظر المحطة : الكريم لا يسأل .

بينكوف : (**يلقي بحركة واسعة من يده تنمّ عن اريحيـة وسخاء نقوداً على الطاولة)** .

« حينا تمرق فوق السقف العتيق
فتعلو خشخشة القش
وحيناً كعابر سبيل متأخر تطرق على النافذة » .
(**يـدخل ناظر المحطـة . يهـرع الى الأبـواب الداخلية . يقرع الباب)** .

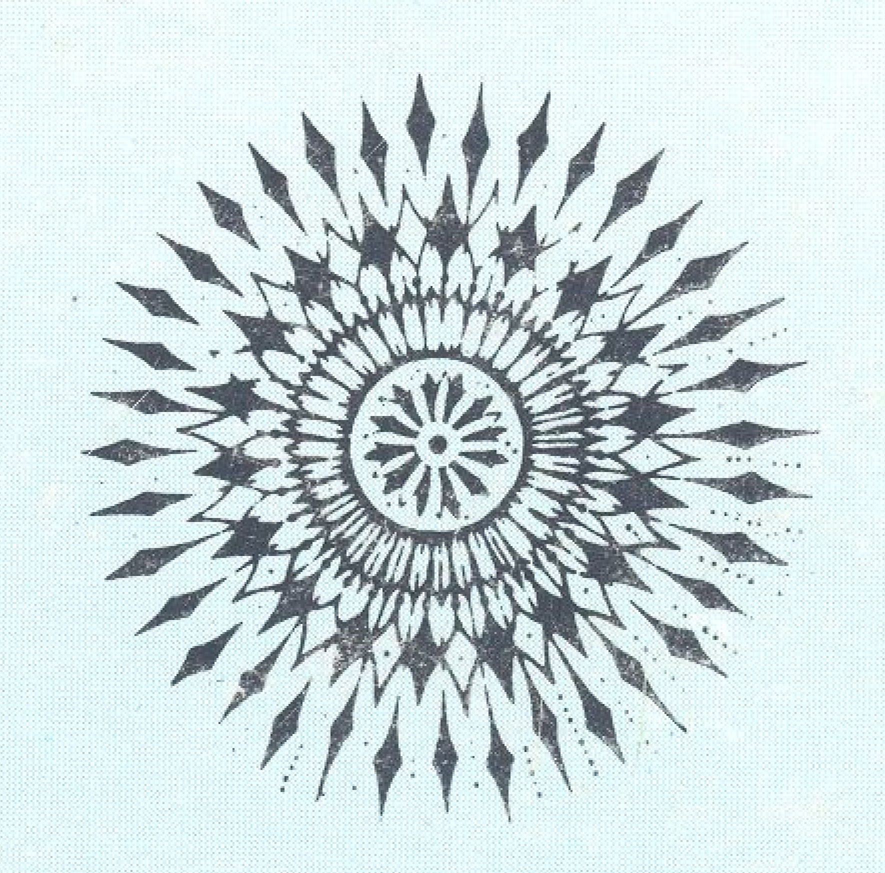
ناظر المحطة : يا صاحب السعادة ، يجب الانطلاق . . .
(**يظهر راكيبيف للحال في الأبواب الداخلية)** .

راكيبيف : فلنتابع طريقنا .

النهـايـــة

الفهرس

٢٠٠٠٠ ط١ / ١٩٩٨/٢/



طُبِعَ في مطَابِع وزارة الثَّقافة

دِمشق ١٩٩٨

سِعرُ النُّسخة داخِل القُطر

٧٥ ل.س

في الأقطار العربيَة ما يُعادِل

١٥٠ ل.س